وقال الدرويش

الحسناء والمجنون

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ

اسم الكتـــاب: الحسناء والمجنون
تـأليـــــف: د. عبد الناصر النجار
غلاف: عبير سعد
تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح
سنة النشر:2025
النـاشـــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع
القطع : 20*14

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 1612 / 2025

الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 596 - 1

دار الزيات للنشر والتوزيع

المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

وقال الدرويش

الحسناء والمجنون

د. عبد الناصر النجار

رواية

الإهداء

إلى الذين جمعتهم الحياة على غير سابق لقاء

إلى طيور من فصائل شتى

إلى الذين لم تغيرهم الدنيا

إلى أولئك الذين صدمتهم حضارة البشر الزائفة ورفضوها

إلى المتعبين الذين لم ينالوا قسطًا من راحة وقد اعطوا كل ما يملكون

من مال وحب وبساطة وتبسط

إلى الذين حلموا بحياة بسيطة طيبة لا كِبر فيها ولا غِل

إلى الذين رقت قلوبهم فهي كأفئدة الطير

إلى صاحبي العزيز

بسطويسي كلب السكك

أهدي محبتي وكلماتي..

عبد الناصر النجار

[١]
الحلو ميكملش

قال والدمع يخنقه:

لازم أسيبها رغم إني بعشقها.

قلت له:

استهدى بالله وفهمني الحكاية.

رد والشوق يحطم زجاج نوافذه البراقة:

حاجة محصلتش حلم ولا في الخيال، ظهرت فجأة وقررت تختفي فجأة، تصدق إن أنا من كتر جمالها ورقتها مكنتش مصدق، أنا كنت مستكترها على نفسي، أنا كنت شاكك إنها فخ منصوب لي، أصل صعب ملاك بالشكل ده تحب إيد مقشة زيي كده..

لما سألتها حبيتي فيا إيه؟! قالت شخصيتك حنيتك ذكاءك وألمعيتك، كلام أكبر من الحقيقة بمسافات..

قاطعت سيل كلماته الموجوعة وطلبت منه أن يتحلى ببعض الهدوء:

إهدى بس وفهمني لازم تسيبها ليه لما هي بتحبك الحب ده كله!؟

أجابني وهو يحاول أن يرتب أفكاره:

اسمع يا سيدي.. دي حاجة محصلتش في الدنيا وأنا عارف إنك شايفني مجنون، قلت وأنا أفكر أن أطلب السرايا الصفرا "لا إزاي إنت سيد العاقلين".

والله كنت بعقلي لغاية ما هي ظهرت وبعدها بقيت كده نص عاقل ونص مجنون، دي طلع جواها نفس جنوني، إنت عارف إن كل واحد فينا عنده شخص مجنون جواه بيخبيه عن الناس!؟

أجبته طبعًا خاصةً لو النُص ده مجنون قوي.. أكمل:

هي طلعت النص المجنون وسابتني وغابت.

طلبت منه أن يحكي حكايته مع سبب جنونه، فبدأ حكيه وهو يرى الأحداث بأم ذاكرته:

ظهرت على غير توقع مني، وفاجأتني قائلة "أنا بموت فيك".

كنت هتشل من الفرحة لكنني تماسكت لأن أنا كمان كنت بعشقها ومش مبين لها، خايف أخسرها وعمري ما تخيلت إنها تحبني الحب ده .

رديت عليها فورًا وقلت لها:

وأنا بموت في أم جمالك ورقتك وحلاوتك وأناقتك ودلعك و....و....و....

وفجأة تحولت من بطة شيني إلى بربند، هي كانت تطير في سماء المكان من الفرحة، وأنا كنت خايف أتشل من السعادة، يومها بُوست عامل الكانتين -مش فاكر من خده ولا من بؤه- وحضنت الست الدادة ذات السبعين خريفًا وقلت لها يا قطة..

مش هوصفلك حالتي وأنا ماشي في الشارع وكاسر الإشارات، اللي يشتم واللي يقول ربنا يشفي، وأنا راسم ابتسامة معتوهة جدًا على وجهي وشايف الحياة بقى لونها بمبي.

قلت له وأنا مبتسم من تخيلي لسعادته الأبدية، وشكًا مني أنه أصبح مجنونًا بالفعل، وإن كل ده مجرد حلم محصلش وهو صدق إنه حقيقة:

هي كانت إزاي كده يعني مش فاهم؟!

أخرج هاتفه الخلوي الأنوي الجوال، وإذا بها على صفحة ماء جدول حياته، مستندة إلى حائط يوشك من جمالها أن يتهاوى..

الغلام عنده حق أن يُسمي الحائط حائط المبكى.. قلت له:

ما شاء الله.. هي دي؟! رد سارحًا في جمالها: أيوه هي.

حدثته وقد تأكد شكي في قواه العقلية:

هتسيب القمر دي ليه يا ذُرية المعاتيه؟!! هي اللي زي دي تتساب!! وإنت بتقول إنها بتحبك وإنك بتعشقها!

فرد قائلًا وعلامات الألم تبتسم على صفحة وجهه:

أيوه هسيبها علشان أقدر أكمل حياتي بعقلي، يا أستاذي دي مجنونة بالشك وبنفس درجة جمالها، عندها استعداد تدب خناقة لرب السما علشان واحدة عامشة قالت لي صباح الخير، تبدأ تحقيقات لا تنتهي، وإيه اللي بينك وبينها؟! وهي ليه كانت مبتسمة وهي بتصبح عليك؟!

لم أستطع أن ألومه ولا أن أنصحه بشيء، لكن قلت له:

- حقيقي الحلو ميكملش..

[٢]
المجانين في نعيم
مقدرش أعيش من غيرها

جاءني المجنون صديقي يقول لي بلكنته الجنوبية:
- أنا فرحان قوي، هموت من الفرحة.
- خير اللهم اجعله خير!!
- تعرف إنها كلمتني النهاردة الصبح وقالتلي أنا بحبك يا مجنون.
- مغلطتش فعلًا أنا شايف قدامي واحد "ستانجلينا"..
- وإيه يعني أنا مبسوط بجنوني وجنونها.
- طيب أنا إيه دوري في السرايا الصفرا دي؟
- لا إصحى كده وركز معايا.. إنت عارف إني مقدرش أقول الكلام ده لحد غيرك، وأنا عارف إنك مجنون قديم زيي كده من أيام زمردة بتاعة تالتة طب..
- خلاص.. خلاص.. بلاش تقليب مواجع، خلينا في حكايتك وقولي إيه اللي حصل..
- كلمتني الصبح وقالتلي صباح الخير يا بيسو..

- بيسو!! الله يرحم الوالد لو كان سمع الكلام ده كان دفنك حي.. كمل يا عم بيسو..
- أما إنك رخم صحيح!! سيبني أفضفض لك وإسمع وإنت ساكت..
- قول يا بيسو وجَودِ..
- أنا يا سيدي بقالي فترة زعلان منها علشان الغيرة ومش بكلمها بقالي ييجي يومين..
- لا كتير أوي يومين يا عم بيسو..
- هي بيسو دي زِلة وإنت ماسكها عليا ولا إيه؟

طب دا بيسو دا أحلى اسم اتنادى عليا بيه.. دي من ساعة ما قالت لي "يا بيسو" وأنا حاسس إني بيسو فعلًا.. أنا مينفعنيش غير اسم بيسو.. اسم كده كله إحساس وحب وأشواق ودلع.. الله على بيسو وحلاوته!!

- اللهم طولك يا روح!! خلص واحكي بعد بيسو حصل إيه ؟
- أنا جايلك في الكلام أهه.. بعد بيسو قالتلي يا مجنون أنا بحبك قوي وبغير عليك حتى من هدومك..
- خلاص إمشي عريان في الشارع علشان سوسو الهبلة بتاعتك..
- والله إنت رخم وأنا غلطان إني بحكيلك..
- تعالى متزعلش.. هو صحيح إنت بتناديها تقول لها إيه؟
- بقولها يا حسن..
- حسن إيه يا ابني!! في حد ينادي حبيبته كده؟! هي راجل ولا إيه!!

- لا دا حته من اسمها.. هي اسمها حسناء، ووصفها حسناء ولما بدلعها بقولها يا حسنولا..

- الله يكملك بعقلك!!

- أصل أنا بغير عليها أنا كمان بجنون، ومش بحب أقول اسمها قدام الناس، أنا لو عليا أحبسها فى قمقم وما حدش يشوفها.. أصلك مش عارف هي إيه!!

- قولي إنت هي إيه يا عم بيسو؟

- أنا هقولك وبطل كلام واسمعني..

-قول..

- هي قمر الليل في عمري المضلم.. هي النيل اللي حَولِ صحراء قلبي الناشف مزارع خضرا.. رغيف العيش السُخن وعليه شوية السكر قدام الفرن وأمي كانت بتخبز، هي مراجيح العيد والعيدية واللبس الجديد، هي النبلة والبلي ووقفتي جون أيام البلد..

هي نتيجة الثانوية لما قالوا دخلت كلية الطب، الإمتياز مع مرتبة الشرف يوم ما اتخرجت.. الهوا الحلو اللي طالع من النيل وأنا ماشي على كوبري الجامعة..

هي الحُسين وشارع المُعز وتاريخ لم يكتبه بشر، هي ماركيز وعظمته ونجيب ووصفه والعقاد وتفاصيله، هي عبلة عنترة وعزة كثير وليلى قيس.. هي نور عيني اللي بشوف بيه..

هي عطور الدنيا وحلاوتها، السكر والعسل والبقلاوة والمربى، الضحكة اللي بتخلي لليوم طعم، الوجع اللي زي البهارات في الأكل، هي الأكل كله حِلوه ومره.

هي الدنيا كلها اللي من غيرها لازم تطلع شهادة وفاتي، هي اللي بسببها أنا عايش.. هي أجمل خيال وكل الحقيقة..

أنا سمعت لغاية دلوقتي عشرين هي.. مفاضلش غير إنها أمك اللي ولدتك..

- إنت بتقول فيها.. إنت فاكر الولادة ولادة الأم بس؟ لا خالص.. الولادة التانية للواحد هي اللي بتحصل له مع الحب، يا يتولد ويفتح عينه على عمر جديد.. يا ييجي سَقط والموت عليه حق.. أقولك حاجة مكسوف أقولها؟!

- قول يا عم قيس..

- عليا الطلاق أنا ما خايف غير منك..

- مني أنا.. ليه؟!

- أحسن تحبها من كتر الحكاوي عنها..

[٣]
كلبشات الحرية
حب في الميدان

صاحبي الصعيدي اللي قارفني بحسنولا حبيبته، صحاني الصبح يقولي:

- اصحى كده يا واد عمي وصحصحلي..

- نعم يا عم بيسو!!

- بيسو.. بيسو.. إنت بس تلاقيك متغاظ علشان معندكش حد يقولك بيسو، أنا النهاردة نازل التحرير..

قمت من نومي مذعورًا من الجملة، وسألته:

- تحرير إيه يا عم بيسو؟! النهاردة ٢٥ يناير يعني الميدان مفيهوش غير كلبشات الحرية..

- عليا الطلاق ما يهمني ولا كلبشات ولا دياوله، أنا قلت لحسنولا هشوفها النهاردة.

- وإيه علاقة ميدان التحرير بحسنولا؟!

- إيه يا عم المخبول إنت عايزني أقابلها في مصطفى محمود ولا إيه؟!

- يا عم بيسو قابلها في أي مكان بس بلاش الميدان..
- مينفعش غير الميدان..
- ليه يا آخر سكان السرايا؟!
- علشان أنا حبيتها في المظاهرات.. اعتدلت في السرير وتذكرت هذا اليوم العظيم وسألته:
- هو أنت كنت فاضي تحب يومها؟!
- أنا حياتي إبتدت من اليوم ده .. يومها وأنا باهتف ضد الظلم عيني جت عليها.. اللهم صلي على النبي بدر منور.. في وسط الزحام وال كان شُفت عسكري أمن مركزي بيقرب منها ومركز عليها بعنيه، أنا لطمته قلم على وشه ولا قلم المخبرين.. هي اعتبرتني بطل بقاوم الظلم، وأنا كنت بقاوم عنيه اللي باصه عليها..

وقفت قدامها أحميها من نظرة عنيه وهي فاكرة إني بحميها من بطشه.. الغريب إنها مسكت في هدومي تتحامى فيا وأنا كنت نصين.. نص حاسس بإيدها ونص بيقاوم إنها تسيب القميص..

القميص ده أنا عامله مزار في البيت ملبستوش من يومها، كل يوم الصبح أشوفه وأبوس ضهره وأنزل الشغل..

كنت يومها بقاوم من أجل الحرية في الميدان، أنا الوحيد اللي كان عارف بيقاوم مين، أنا الوحيد اللي كان في الميدان بيقاوم، كنت بقاوم مصر كلها علشانها، أنا كنت معتبر نفسي بقاوم الحملة الفرنسية..

- إنت شارب حاجة يا واد ع الصبح؟! حملة فرنسية إيه يا عم كليبر؟!

- أهو دا عيبك.. مش بتسمعني جد، أنا رايح أشوفها دلوقتي، رأيك ألبس إيه؟!
- إلبس بدلة إعدام حمرا.. حاجة كده تناسب الموقف.
- آه بمناسبة حمرا دي هات الكرافتة الحمرا اللي عندك علشان هي لابسة طقم أحمر في أبيض في إسود.
- واضح إن الحلوة نفس المناخوليا..

لبس صديقي المجنون بدلة من دولابي، واختار رابطة عنق حمراء، وأخذ بالطوا إسود نظرًا لأن الجو بارد وممطر، وأشار إليّ بيده ملوحًا وهو يفيض فرحًا وحبًا وسعادة:
لما أرجع بالليل هحكيلك اللي حصل.. إدعيلي أفضل بعقلي لحد ما أشوفها..

[٤]
صباح الخير يا بيبي

أيقظني بسطويسي صديقي الملقب "ببيسو" قبل صلاة الجمعة بساعتين، وقال لي هنصلي الجمعة مع بعض في الحُسين.
ذهبت إلى هناك وكانت أولى المفاجآت إن بيسو مازال يلبس بدلتي، والبدلة مكسرة ومبلولة، والكرافتة مقطوع نصها -تذكرني برباط معزة كانت عندنا في البلد وأنا صغير- ووجهه الأبلة المتهلل بصباح جميل يشبه وجوه الناس الطيبة على عربية الفول في السيدة زينب.
ألقيت عليه السلام وعلى وجهي استغراب من حاله لكنه أخذني بالحضن وقال "واحشني يا غالي".
صلينا الجمعة وخرجنا من المسجد ليمشي بين الناس موزعًا ابتساماته على الجميع بلا استثناء، كل من سلم عليه احتضنه بحرارة وقال له "واحشني والله".
حتى أن امرأة متسولة على باب المسجد تحمل طفلًا أخذ منها الطفل وظل يرفعه في الهواء وهو يتراقص وأمرني أن أعطيها صدقة -لأن مفيش معاه فكة في جيبه- أعطيت السائلة ما تيسر وأمسكت بذراعه وقلت له:
إعقل الناس بتبص عليك على إنك معتوه أو مجنون أو مجذوب..

فجأة نزع ذراعه من ذراعي وقال بصوت عالٍ وهو يدور حول نفسه كالدراويش تحت قطرات المطر الذي بدأ في التساقط:

أنا بحب يا ناس ياهوو.. بحبهاا.. أنا بحبك قوي يا رب..

في لحظة إلتفت إليه كل الناس ما بين مبتسم ومستغرب و متحسر على رجل فقد عقله..

في هذه اللحظة كنا قد وصلت إلى قهوة الفيشاوي وجلست وأنا أخشى أن أرى سيارة المصحة العقلية وقد طلبها أحد الواقفين.. إلا أن المكان يعج بالمجاذيب الحقيقيين.

أنهى صديقي فقرة الساحر أو المجنون وجاء باحثًا عني وهو يتراقص، أخفيت جزءًا من وجهي بشال كنت ألفه على عنقي حتى لا يراني أحد مع هذا المعتوه..

جلس صديقي وجاء الجرسون، وطبعًا قام بيسو المجنون فاحتضنه وسلم عليه ودون أن يستشيرني طلب منه قائلًا:

اتنين سحلب بالمكسرات على ذوقك يا برنس.. انصرف النادل وجلس بسطويسي الذي يعاني حالة من جنون الحب والتوتر..

قلت له بصوت منخفض:

إعقل يا بسطويسي الكلب.. هتفضحنا، ضحك ضحكة جمعت علينا أعين كل الجالسين والمارة، فقلت له: إحكيلي يا عار عيلتكم في إيه؟! والبدلة عاملة كده ليه؟! ومين قطع الكرافتة؟! ولبستها مقطوعة ليه؟!!

كان النادل قد حضر بالطلب ووضعه أمامنا، أخذ رشفة من السحلب بصوت لا يليق، ولعق بلسانه الملعقة كالأطفال وقال:

إسمع يا أجدع صاحب في الدنيا.. البنت طلعت بتحبني زي ما بحبها تمام.. إمبارح قابلتها في الميدان، نفس المكان اللي شوفتها فيه أول مرة، وقفت قدامها كأنها أول مرة أشوفها، حاجة محصلتش فعلًا.. أدب وخجل وجمال ورقة ونعومة.. حورية بجد.

أه والله حورية يا ناصر.. تعرف أنا لازم أصلي وأصوم علشان أخش الجنة مادام فيه كده هنا يبقى هناك برضه حلوين.. بس أنا كفاية عليا هي هنا وهناك.. قلت له:

- يا خلفة المجانين استنى تدخل الجنة الأول وبعدين اختار.. أكمل قائلًا:

- قالت لي صباح الخير يا بيبي..

وضحكة معتوهة -خرجت مني هذه المرة- إلتفت لها كل من مر أمامنا، بسطويسي إتقال له يا بيبي، كان لابد له أن يفقد عقله عليه العوض ومنه العوض، أنا الآن غير مستغرب لحالته.. قلت له:

كمل يا "بيبي" إيه اللي حصل بعد كده؟!

قال وهو يتصبب حبًا مخلوطًا بماء المطر:

كأن الدنيا وقفت بنا ها هنا، لا شيء يتحرك لا الزمان ولا المكان ولا البشر، أنا لا أتذكر أني رددت عليها لكنني أفقت على مقهى جانبي وأنا مبتل بماء كثير، عرفت فيما بعد أنني سقطت من طولي بعد "كلمة بيبي"

واجتمع المارة وحملوني إلى جانب الطريق، وصبوا عليّ الماء كي أفيق، في لحظات غياب الوعي رأيت تاريخي كله حلوه ومره، وقد طرأ عليه أجمل ما يصيب الناس..

إنه الحب يا صديقي.. لقد سامحت أيامي كلها.

الجو بارد بقسوة وصديقي بسطويسي المبلول لا يشعر بغير دفء الحب، خلعت الشال الأحمر الذي ألفه على عنقي ولففت به عنقه الذي سيصاب بالبرد لا محالة..

بحثت في حقيبتي عن حبة "بانادول" أعطيها له -فقد عطس مرتين أيقظتا في عقلي الطبيب الذي تركته منذ قليل- وأعطيته إياها، ثم سألته:

هو إيه اللي قطع الكرافتة كده؟!

قال والسعادة تملأ قلبه:

أصل هي الصراحة بتحب اللون الأحمر، وقالت لي "الله حلو قوي لون الكرافتة دي" فقلت لها خديها يا غالية..

سمعته وأنا أقول في نفسي بصوت هنيدي "أراك تنفق من مال أمك"

قالت:

الله حلوة "غالية" دي قوي!! ثم فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها مقص أظافر صغير وقطعت نصف الكرافتة وقالت نص معاك ونص معايا يا بيبي..

لاحول ولا قوة إلا بالله.. الواد فقد عقله بجد والبنت شكلها من نفس الفصيلة، مر النادل مرة أخرى فأشار له البيبي فجاء وقال:

عايز إتنين فول وإتنين طعمية وشوية برانس من عربية الفول اللي هناك دي، وبعدها عايز أحبس بشوية شاي في الخمسينة سكر

مظبوط، تبادل النادل معي نظرة تساؤل عن صواميل مخ صديقي، فأشرت إليه بهدوء يوحي بأن صواميل عقله فكت فعلًا، وأخبرته أن يأتيه بما طلب.

ثم التفتت إليه وطلبت منه بعض التعقل علشان منتفضحش، فأخذ نفسًا عميقًا ووعدني بذلك وأكمل حَكيه.. قعدنا مع بعض في الشارع من إتنين الضهر لإتناشر بالليل، أنا عمري كله كوم وإمبارح ده كوم تاني، إنت تعرف أنا قلت لها كام مرة بحبك.. بعشقك.. بموت في أمك!! يمكن ألف مرة وأكتر.

اتمشينا في شوارع الميدان كله، طوفنا الميدان سوبعه، حكيت لها حكايتي من أيام الفرن والبلد والمشلتت أبو سكر.. لغاية عنيها اللي خدتني وجننتي..

وحكيت لها عنك وعن صداقة عمرنا وأيام الكلية، وهي حكت لي عن عمرها وحبها ليا في الميدان، قالت إنها كانت حاسة بيا وأنا بضرب العسكري وإنه كان علشان عنيها الحلوين، قالت إنها قرأت عنيا من أول لحظة صدق وحب..

ظل يتكلم كثيرًا.. وفجأة توقف عن الكلام وتحجرت عيناه في مكانها حتى أنني فزعت أن تكون نوبة قلبية

قد أصابته من الإعياء إذ أنه لم ينم منذ الأمس، قلت له فزعًا: مالك يا بسطويسي؟!

يبدو أنه لا يسمعني ولا يراني، إنه يرى الآن ملائكة الموت، قلت مرتعدًا:

أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله..

ردد الشهادة من بعدي، وإذا بظل شخص يقف من خلفي التفت إليه والدمع يسيل من عيني، فإذا بها تلك الحورية التي يعشقها بسطويسي، ابتسمت وقالت:

صباح الخير يا دوكتر.. صباح الخير يا بيبي..

وبسطويسي الكلب يرد عليها: صباح الخير يا حتة مني.

وقف بسطويسي الكلب من موتته وقد دبت بين أوصاله الحياة مرة أُخرى، اقتربتْ منه ممسكة بالشال الأحمر الذي لففت به عنقه منذ قليل، وقالت له بلكنتها الملائكية "حلو قوي عليك يا بيسو".

[٥]
وجاءت الحورية

لم يكن صديقي مجنونًا ذلك الجنون الذي يليق بها، إنها معبد صناعة وتوزيع وتقطيع قلوب عباد الله الغلابة، قطعة موسيقية هادئة ناعمة تقتلك بمنتهى الرضا ودون أي مقاومة منك..

نقطة من نهر "شنتلون العسل" الذي لم تصنعه النحلات إنما خرج من منابع الزمرد المُحلى بأساطير أصفهان البلد.. عصفورة من بلاد السند تاهت في جزيرة العرب حيث العبيد القادمين مع الأسر البابلي الأعظم..

من هذه برب الكعبة؟!!

لها عينان يزرعان الشك في قلب كل عابد، وبسمة تفيض على أهل العشوائيات رضًا وسكينة، وصوت لم يخرج من حنجرة بشرية قط إنما هو مصنوع بين السماء والأرض حتى أن كل شيء يسكن حين تتكلم..

كان العبد لله صامتًا، وبيسوا الغلبان يزبد كما تزبد الإبل وهي لا تتكلم كثيرًا، وطبعًا "بسطويسي الكلب" خلع الشال اللي أنا لسه ملبسهوله من البرد وقال لها "طلاق تلاتة ما هو راجع"

علقه على عنقها ليزداد الشال بهاءًا ويفوح عطرًا، ويشعر بما لم يشعر به من قبل، حاولت أن أغمض عيني بقوة لكن الجفون تحولت إلى طبقة من صخر اللازورد التي لا حراك فيها..

جلست تلك القطعة الفنية بجوار بيسو المجنون ووجهت له أول كلماتها تسأله: عملت إيه من ساعة ما سيبتك؟

رددت أنا بسرعة البرق:

دا حالته تصعب على الكافر، الواد يا عين أمه حالته كده من ساعتها، لكن بيسوا كان أقرب إلى المجذوب وهو يهمس لها "مكنتش عايش"..

بسطويسي الكلب بيجيب الكلام ده منين؟!

أصبحنا فُرجة لكل خلق الله منذ أشرقت حسناءه، اقترب رجل يحمل عودًا يسير به بين الجالسين ويدندن بعض الألحان، ناداه بيسوا في التو وطلب منه أن يعزف..

هات عنيك تسرح في دنيتهم عنيا

هات إيديك ترتاح للمستهم إيديا

يا حبيبي تعالى..

وقف النادل أمامنا ولما نظر إليها رقص على الموسيقى من هول هالة نورها الذي يفيض على الدنيا سرورًا، هذا الساطع من عينيها ومبسمها..

"أصبحنا أضحوكة العالم يا بيسوا الكلب"..

أقول في نفسي وأنا أنظر إليها..
اللي ذي دي لازم تتنقب أو متخرجش من بيتها أصلًا، لازمته إيه قلوب الخلق تتخلع وتتقطع!! قال النادل لبيسو الكلب وهو يتراقص:
أُؤمر يا باشا.. الحلو يشرب إيه؟!

قال بيسوا وهو في حالة من الوجد:
اسقني واشرب على أطلاله وارو عني طالما الدمعُ روى..
زغدت بيسوا بيدي أن يفيق من خمر عينيها، أحدثه: بيسوا يا حبيبي.. إحنا في الفيشاوي، شوف الهانم تشرب إيه؟! وأكملت بصوت منخفض، وشوف إنت هتطفح إيه؟
سألها بيسوا بصوت لا معالم له:
- تشربي إيه يا حتة من قلبي؟! ردت بصوت يكسر جدران المعابد الفرعونية:
- "يسلم لي قلبك" إنت هتشرب إيه يا بيبي؟!!
ودون أدنى تفكير رد هذا المعتوه:
- هشرب اللي يفيض منك.. ضحكت بخجل يكسوه الحب والدلع وقالت :
- ولو شربتها كلها هتشرب إيه؟ ويرد بسطويسي الكلب
هشرب مكانك وداكفاية، هاملاها ميه واشربها، هخدها وأنا مروح..
هسرقها.. أصاب النادل حالة من الغيرة

أن بدر البدور تحب هذا البسطويسي وقال:
خلاص يا عم الأستاذ خلصني هتشربوا إيه؟ ردت هي قائلة:
- واحد مانجا.. رد النادل قائلًا:
- هو انتي ناقصة حلاوة!! وهنا انتفض بسطويسي وأمسك بتلابيبه صارخًا:
- اتحشم يا جحش في كلامك أحسن أدفنك مكانك..
لقد ظهر الرجل الصعيدي وبسرعة، تدخلت في الحال وقلت للنادل:
تلاتة مانجا يا ابني.. وقلت لبسطويسي اهدى يا عم بيسو.. إلتفت إلى بيسو أول وآخر إلتفاته وعنده حق اللي ذي دي محدش يتلفت في حضورها، وقال لي:
هي دي حسنولا معشوقة قلبي..
ابتسمت ابتسامة باهتة جدًا له، وقلت لها بأدب لا أملك في محراب هذا الجمال غيره:
-اتشرفت بحضرتك.. قالت:
- إنت ناصر صاحبه؟ فأجبت بنعم.. وكنت عايز أقول لها والشال دا بتاعي خليهولك مش عايزة، بس تبقي عارفة.
قالت وقد استحضرت شخصًا آخر وهي تكلمني:
بيسوا حكى ليا كتير عنك واضح إنكم أصحاب عُمر..
من أين أتت بهذه الرجولة في الكلام معي!! أذبت طبقة الجليد التي أحاطت بي وسألتها:

- حضرتك خريجة إيه؟ لتجيب بمنتهى الرزانة:
- إعلام قسم صحافة.. لأردد ما شاء الله.
تكلمت قليلًا معي ثم التفتت إلى بيسو الكلب وقالت بصوت آخر:
إنت كده هتبرد يا بيبي.. فتحت حقيبتها وأخرجت قطعة من السندس ولفتها على رقبة المخفي بسطويسي، كانت رائحتها تفوح حتى أن عفن البسطويسي المبلول منذ الأمس لم يغلبها..

جاء النادل ومعه أكواب عصير المانجا وزجاجتي ماء وضعها وغادر، حمل بيسو كوبين وترك الثالثة للعبد لله، رفع لها كوبًا لتشرب منها حاولت أن تأخذها من يده لكنه رفض.. أَخَذتْ رشفة من العصير وحينها أعطاها بيسو الكوب الآخر وشرب هو من كوبها مستخدمًا الشاليمو للمرة الأولى في عمره..
قررت أن أرى نور جمالها في وجه بيسو الكلب، اعتدلت في مكاني كي لا أراها مباشرةً، ونظرت إلى بيسو، كان وجهه يقطر عسلًا ويفيض نورًا من هول جمالها المنعكس على صفحة وجهه الذي يحتاج إلى قلم المخبرين ليستفيق.
كان الفتى يذوب عشقًا وحبًا وخوفًا أن تضيع، وكأن بسطويسي كما وصف لي "وُلِدَ من جديد" حرفيًا.

ضحكة رقيعة تخرج من إحدى بائعات الهوى ذات زي خليجي تكسر صمت الحملان، صوت نشاذ في مملكة الحب العظمى، رفع المدهول على عينه "بسطويسي الكلب" عينيه ليرى مصدر الصوت، وفجأة تحولت الحورية إلى مجنونة وقالت له:

إنت بتبص على إيه؟ إنت تعرفها ولا إيه؟

والغلبان ابن الغلابة يحلف بكل كتاب أُنزل "والله معرف دي مين"، لكن دون جدوى..

فعلًا الحلو ميكملش..

[٦]
ضربة معلم يا زمن
وعرفت توجعني

طلب مني بسطويسي أن أستعد للذهاب معه إلى بيتها لطلب يدها كما أخبرها بالأمس، جاءني بعد صلاة العصر حسب اتفاقنا، كان في حالة يصعب وصفها، خليط بين الجد والهزل والجنون، كان المعتوه يريد أن يذهب إلى أبيها لابسًا بقايا الكرافتة الحمراء رمز الحب والنقاء..

معتوه من يومك يا بيسو، أقسمت له أنني لن أذهب معه إن لم يحفظ عقله وقلت له:
اسمع يا ملك المجانين دا جواز مش حب وهيام وأبوها أكيد عارف إن خطابها كتير وهيقعد ويتشرط.
كنت أؤذن في مالطة هذا الكائن البوهيمي لا شيء يفت في عضده..
لبست ثيابًا تليق بمثل هذا الموقف وتذكرت أمي وهي تدعوا لي "إلهي يحبب فيك خلقه حتى الحصى في أرضه" ، ابتسمت وقلت في نفسي:

واضح إن الملايكة كتبت الدعوة دي بالذات لبيسو الكلب..
نزلنا على السلم درجات معدودات وركبنا سيارتي، وطبعًا بيسو فتح الراديو منذ لحظة دخولنا الأولى يبحث عن أُغنية فرايحي تُناسب الموقف فإذا بواحدة تقول:
ضربة معلم يا زمن وعرفت توجعني
والجرح علم يا زمن والحزن ضيعني..

ما هذه الكلمات البائسة في هذا اليوم!! الغريب أن الموسيقى موسيقى أفراح، والأغرب من ذلك أن بيسو الكلب كان يرقص عليها..
بيسو لا يسمع الكلمات، بيسو يرقص على موسيقى قلبه العاشق، مررنا في الطريق على محل حلويات مشهور نزلت أنا وبيسو لشراء أي حاجة ندخل بيها على الناس، مش إيد ورا وإيد قدام على حد قوله..

أعجبته تورته على شكل قلب أمسك بها كالأطفال، وأصر أن يكتب عليها "العاشق الولهان" قلت له:
اعقل يا تافه.. إفرض أبوها فتحها هنقول إيه؟!
رد بغشومية المحبين قائلًا:
وهو يعني مش عارف إني بحبها هو هيستهبل من أولها ولا إيه!!

هيستهبل!! والله إنت هتفضحنا، يا إبني شوية عقل ميصحش كده، وبعد أيمانات مغلظة وخناق في المحل كتب على التورتة "بحبك موووووت".

وصلنا إلى بيت سِت الحُسن والجمال، وصعدنا درجات السلم حيث تسكن في الدور الأول، وطبعًا بيسو لم ينسى أن يحضن البواب بحرارة ويقوله:

- إزيك يا عم بسيوني!! وبسيوني يرد السلام ببساطة.. واضح إنه يعرف هذا البسطويسي جيدًا، مِلت عليه وسألته:

- هو الحارس بسيوني يعرفك إزاي؟ ضحك بصوت جهوري فاسد:

- ما أنا ياما جيت هنا وقعدت جنبه على الدِكة اللي بره علشان أشوفها وهي راجعه من الشغل، وأيام الزعل كنت بأبات جنبه لما النهار يطلع، بسيوني دا عِشرة عمر أنا بفكر أخليه شاهد على العقد..

صبرني يا رب.. أبوها لو سمع الكلام ده مؤكد هيطردنا من البيت، حلفت "بيسو الكلب" بالغالي والرخيص إنه يعقل لغاية ما الأمر يتم..

طرقنا باب البيت، فتحت لنا فتاة صغيرة دون العشرين سألها بيسو بكل وقاحة "سِتك موجودة؟!"

لكزته في جانبه أن يصمت ثم قلت:

مساء الخير.

صوت من الداخل لرجل تُبين ملامحه أنه في ستينات العمر يقول اتفضلوا.. أهلًا وسهلًا..
سلمت عليه بمودة وترحاب وطبعا بيسو أعطاه درس في علوم البوس والأحضان والترحاب المبالغ فيه.
أعطى بيسو الحلوى للشغالة الصغيرة، وقال لها بصوت يسمع:
خلي سِتك تفتحها، وهاتيلي كوباية ميه.

جلسنا ثلاثتنا أنا وبيسو والرجل الذي عرفت بعد قليل أنه مستشار ورجل له هيبة ووقار، قلت له:
إحنا يشرفنا إننا نقابل حضرتك.. الحقيقة صديقي جاي يتكلم مع حضرتك بخصوص بنتكم الكريمة.
بادرت بالحديث وأنا أدعو الله أن يصمت هذا الرعديد بيسو صمت القبور ساعة واحدة.. سأل الرجل الوقور:
- هو اسمه إيه؟
قلت بسطا.. من باب تدليع الإسم قليلًا، إلا أن المعتوه أكمله للرجل قائلًا وبهبل "ويسي".
اضطرب وجه الرجل قليلًا من عته صاحبي، لكنني أدركت أن ابنته قالت "يا بيسو يا بلاش واحد تاني ميلزمناش" فهي من نفس سراية بيسو المجنون.

كسر الصمت أن جاءت الحسناء لكنها في زي آخر وعقل آخر وتلبس نظارة عبقرينو وخلفها عيون المها، وقف بيسو ليحمل عنها الصينية، فإذا بدعوة أمي تعمل الآن حين قال الأب:

دي أختها التوأم..

قمت أنا من فوري وأجلست بيسو في موضعه وبوقار يصنع من قلبي كتلته من رصاص مصهور قلت لها:

عنك يا عروسة.. التقت عيني بعينيها، حاجة محصلتش نفس جمال مجنونة بيسو لكنها تفيض عقلًا وحكمة وعبقرينو..

حملت الصينية وبقيت واقفًا يبدو أن مرض بيسو مُعدي، شدني بيسو من ذراعي، فكدت أقع على ظهري لولا أنها أمسكت بذراعي اليسرى وهي تقول:

- حاسب يا دكتور لتقع.. لأقول في نفسي:

- "ما أنا وقعت خلاص.. هو فيه بعد كده وقوع!!"

جلست في موضع لن تغيب فيه عن عيني، سألت والدها هي دي توأمها ليجيبني:

آه دي العاقلة بتاعتنا.. ميسون خريجة إقتصاد وعلوم سياسية.. كان نفسي أسأله "هي مخطوبة؟"

لكنني مِلتُ على حبيب قلبي بيسو وقلت له:

- إعرفلي دي مخطوبة ولا لا؟! ولأنه مجنون أرسل رسالة نصية إلى حسنولا يسألها..

وجاني الرد جاني.. ولقيتها بتستناني..

هكذا غنى هذا المخبول بلا مقدمات، ففهمت أنها غير مخطوبة ونظرت إلى أبيها أقول:
بيسو بيحب يدندن..

جاءت الأم والحوريتان وأخ لهما يشبه العيال السيس، جلست حسنولا قريبًا من المعتوه بيسو، وجلست ميسون في مواجهتي، ولم أعد أرى شيء قلت لها بنفس هبل بيسو:
إنتي عارفه إن "ميسون" دا اسم زوجة معاوية؟
قالت بيقين يخلع الضلوع من وقارها وجمالها وبساطتها:
أنا قرأت قصتها..
لكوخ تعبث الأنواء فيه أحب إلى من قصر مشيد..
رددت وأنت رأيك كده؟! قالت بهدوء:
راحة البال أهم حاجة.. عقل ناضج وقلب عاشق ونفس راضية..
لقد أصبح الوضع جد صعب، أنا مش قادر أسيب صاحبي في لحظة زي دي، لكن أنا مش قادر أتلفت حتى لأبوها..
إيه العقل ده!! والرقة دي والجمال ده! دعواتك يا أمي..
يبدو أن ميسون عندها تفاصيل كتيرة عني، بيسو الكلب حكى كل تفاصيل حياتي لحسنولا.. وحسنولا حكت لميسون.. وميسون تذوب عشقًا وهيامًا ومن قبل اللقاء..
فكرت كثيرًا أن أبدأ الكلام مع الرجل الفاضل من أجل بيسو وحسناءه، فوجدتني أقول دون وعي:

يا عمي أنا جاي أطلب إيد ميسون..
أدركت إني نطقت خطأ.. لكنني قرأت في عينيها القبول فأكملت جملتي مبتسمًا:
ميسون ليا..
وحسنولا لكلب السكك بسطويسي..
يخربيت الحب.. هو فيه كده!!
يخربيت العقل.. وتذكرت رقص بيسو على الأغنية الكئيبة التي سمعتها تأتي من الشارع الآن فهززت رأسي طربًا وسعادة..

ضربة معلم يا زمن
وعرفت توجعني
والجرح علم يا زمن
والحُزن ضيعني..

[٧]
أعطني الناي وغني

نقرأ الفاتحة يا عمي!!
أيوة يا ابني نقرأها بس فاتحة بسطا على حسنولا، إنما إنت وميسون لسه شايفين بعض من دقايق أعطوا لنفسكم فرصة للتعارف..
تبادلنا نظرة حُزن عابر، لكن قلنا في نفسنا وماله نتعرف برضه أحسن..

نظرت إلى بسطويسي كلب السكك وقلت نقرأ الفاتحة، رفع إيديه للسماء كأنه بياخد دش، وقرأ الفاتحة.
نظرت لميسون نظرة معناها ما نقرأ فتحتنا على إنها فتحتهم؟!
ابتسمت ابتسامة رقيقة سمعت بعدها من بيسو "ولا الضالين" فقلت "آمين" وقالت هي أيضًا.
قال بيسو بلا مقدمات حين سقطت عينه على الشغالة زغروتة بقى والشربات..
جلسنا ما يقرب من ساعة ثم هممت بالانصراف على غير ما أحب..
فإن جنون بيسو معدي كالبرد في الشتاء والكوليرا في الصيف، فقال بسطا:

أقعد إنت رايح فين وهتسيب الحتة بتاعتك؟!!
الحتة بتاعتي!! يا دي الفضيحة!!
نظرت له شذرًا وأنبته إنه "ميصحش كده"..
فلاحظت أن والدها لم تعجبه الكلمة لكنه اكتفى بتوبيخي للمعتوه بيسو، قال بيسو للرجل:
من فضلك يا عمي عايزين نخرج إحنا والعروستين فقلت محاولا إصلاح الكلمات:
- قصده يخرج هو والآنسة حسناء.. فرد بيسو ديل الكلب بكل بوهيمية:
- طب ما إنت كمان عايز تخرج مع ميسون، وضحكة رقيعة لا محل لها من الإعراب..
إحمر وجه ميسون، بينما جوز الخيل حسنولا والمعتوه يضحكان..
قال الرجل وقد أوشك صبره على النفاذ:
- مفيش مانع تخرجوا كلكم بس متتأخروش.
نزلنا على السلم بيسو وفي يده مجنونته، وأنا وبجانبي ميسون، وكان نصيب عم بسيوني من الأحضان والقبلات أكثر بكثير مما ناله في الصعود، قال له:
باركلي يا بسيوني.. خطبت بدر البدور.. زغرتي يا أم إسماعين..
زغردت مرات بسيوني بالصوت الحياني، ونظرت إليّ وإلى ميسون وقالت:

يا رب يخليهالك ويطرح لك فيها البركة.. الدعاء كان على هوايا فأخرجت من جيبي بعض المال وأعطيته لها ونظرت إلى ميسون وقلت "آمين".

وصلنا لسيارتي وكنت أود أن تكون ميسون بجانبي وكلب السكك ورا هو وحسنولا، لكنني خشيت من الفضائح إذا تركت جوز مجانين في الكرسي الخلفي، قلت بصوت حازم:

- قدام يا بسطويسي جنبي.. وفتحت باب السيارة الخلفي وقلت لميسون بصوت منخفض:

- اتفضلي يا سونة..

ابتسمت ابتسامة كسرت فرامل قلبي، وصواميل عقلي قربت تلحق صواميل عقل المعتوه صديقي..

ظبطت المرآه كي أراها.. أما بيسو فقد جلس جلسة قرود الجبلاية حيث وضع مؤخرته على تابلوه العربية ووجهه للخلف ناظرًا إلى حسنولا..

بدأنا في السير ومؤخرة بيسو تحجب عني المرآة اليمنى، والتي لم أحاول النظر فيها فأنا وإن بدى عليّ العقل إلا أن عدوى بيسو قد أصابتني بالفعل.. قال بيسو في صوت عاقل على غير عادته مؤخرًا:

النهاردة أجمل يوم في عمري.. وردت المجنونة على فورها "وأنا كمان" وأنا أبادل ميسون النظر في المرآة ثم قلت:

النهاردة يوم ولا في الخيال.. فجاء رد ميسون

- "كأني أشعر أني في السديم الأعظم"

السديم الأعظم!! لأقول في نفسي واضح إن الطيور على أشكالها تقع..

"ما تشغلنا حاجة فرايحي" قالها بيسو، وهزت رأسها حسناؤه، لتقول ميسون "معندكش حاجة لفيروز؟!!"
قلت في عجالة كله موجود، شغلت فيروز في البداية "أعطني الناي وغني"، وميسون اقتربت من النوم من هول الإندماج، وبيسو طلع رأسه من الشباك تقريبًا بيرجع من صعوبة الأغنية، ثم جاء من بعدها أغنية بيسو..
"وآه لو لعبت يا زهر"
وحالة من الهرج سادت الموقف، بيسو وحسنولا ماسكين إيدين بعض كأنهم بيرقصوا، وأنا أقول في نفسي "أنا عايز شوية جنون من بتوع بيسو كلب السكك".

في الطريق إلى فندق "الكونراد" حيث قررت أن أدعوهم علشان خاطر عيون ميسون، مررنا على بائع لحمص الشام، قال بسطويسي:
- أقف هنا.. أقف بسرعة..
خشيت أن يكون أصابه حصر بول وينزل يفضحنا هنا، لكنني أدركت أنه سيعزمنا على حمص الشام.. ركنت السيارة ونزل بيسو وحسنولا وقال للبائع:

أربعة حمص شطة كتير.. ثم نظر إلينا وقال:

- مش هتاخدوا معانا؟!

وأنا أنظر إليه في تساؤل أومال طالب أربعة ليه؟!

أتاري الأربعة ليهم بس، فقلت للبائع:

- واحد حمص شطة قليلة.. ونظرت إلى حسنائي قائلًا:

- هتشربي!!

هزت رأسها مع إغماضة عين ملخصها "إيه القرف ده!"

كان بائع الحمص يتعالج من مُسجل عربته أغاني شعبية صعبة جدًا.. أذكر منها الدنيا زي المرجيحة، وإذا ببيسو يرقص ومعه شباب الشارع، نظرت ميسون إلى حسنولا أن تدخل إلى السيارة فدخلت..

أخرج أحد الشباب مطواه قرن غزال وأعطاها لبيسو وأخرج أخرى لنفسه، والمعتوه يرقص مع الغريب بالمطاوي.. وأنا أنظره وأفكر "الله يفضحك زي ما فضحتنا"

لكنه سعيد جدًا..

بيسو وحسنولا يفيضان فرحة ولا يحسبان حسابًا لأحد..

وصلنا الكونراد ودخلنا وعلى مائدة العشاء حدث ما لم يكن في الحسبان...

[٨]
إوعى تغيب

دخلنا من بهو الفندق حيث التحيات المدفوعة الثمن والابتسامة المأصلة على فاتورة الحساب.. حيث كل شيئ بحساب..

بسطويسي لا تشغله هذه التفاهات كما يصفها، الإنسان أصله حُر مش عبد للبروتوكولات هكذا كان يتكلم دائمًا..

الناس سواسية مفيش حاجة إسمها خدامة.. إسمها مساعدة، كان بداخل بيسو كلب السكك إنسان حقيقي بكل معنى الكلمة..

لم يكن بسيطًا لكنه كان متباسطًا..

سَلَمَ على كل الذين التقينا بهم من رجال، أما النساء فكان يغض الطرف عنهن من أجل مجنونته، سمعته يقول لها :

يمين على يمين ما في القلب غيرك.. ولا يملى عيني غيرك.. وكل اللي إنتي شايفاهم حريم أنا شايفهم مقشات.. ومقشات قديمة كمان..

بسطا كان إنسانًا بمعنى الكلمة، ربما يغلب على أدائه بعض الجنون، إلا أنه كان قلبًا نابضًا بالحياة.

جلسنا إلى مائدة الطعام، طلب بيسو من حسنولا أن تشرب من كوب الماء أولًا حتى يرتوي إن شرب بعدها، مسح الكرسي الذي ستجلس عليه مجنونته بطرف بدلته ولما حاولت أن أُثنيه عن هذا قال لي:

إنت فاكرني بنضفه!! أنا بمسح منه ريحة أي حد قعد عليه قبلها، ولما نقوم نمشي همسح منه ريحة حسونه ووجودها.. دا أنا بفكر أحط الجاكت عليه علشان ميفضلش منها أثر على الكرسي..

كنت أرى فيه طفلًا عاشقًا صادقًا لا يرده عُرف ولا يمنعه منطق..

وبينما نحن نتناول العشاء إذ مال عليّ قائلًا وعلى غير عادته :

- أنا حاسس إني دايخ وهأقع..

لم يكمل جملته حتى سقط عن الكرسي مغشيًا عليه..

قمت فزعًا وسقطت على ركبتي إلى جانبه، فإذا به يفتح عينيه ويقول:

- أنا حاسس إني بموت.. كانت صدمتي قاتلة.. لكنني استخرجت الطبيب من عقلي وأوقفت قلبي عن التفكير وأمرت بإحضار سيارة إسعاف بمنتهى السرعة.

وضعت أذني على قلبه أسمعه، ليتأكد شكي أنه قد أصابته نوبة قلبية.. لقد كانت الفرحة أكبر من تحمل قلبه الذي كان دومًا أكبر من كل القلوب..

قلت له :

متخافش إنت كويس.. خد نفس عميق ببطء.. هنروح المستشفى حالًا وهتبقى كويس..

جلست حسناؤه على ركبتيها وأمسكت بيده اليمنى وسالت من عيونها دموعًا أغرقت المكان والزمان وسمعتها تقول له:

إنت لازم تعيش علشاني.. أنا مليش غيرك.. إنت دُنيتي كلها.. أنا من غيرك ولا حاجة..

أخذ يدها وقربها من فمه وقبلها، كان يردد الشهادتين وأنا يقتلني الخوف، قلت له وأنا أتبسم كذبًا:

بلاش بكش يا واد.. إنت بتشوف غلاوتك عندنا ولا إيه ؟

قال بصوت خائف:

لو جرالي حاجة إبقى إدفني في تُرب حسنولا علشان استناها في الآخرة، ما أنا لازم أكون معاها هناك.. يمكن القدر مش كاتب لي أفرح في الدنيا..

انفجرت في البكاء، وصرخت حسنولا صرخة مزقت ستائر الحياة والموت، قلت له بصوت الصاحب لا الطبيب:

إنت لازم تعيش يا بيسو.. أنا كمان مليش حد غيرك..

إنت الصاحب الوحيد الحقيقي وسط زيف الدنيا كلها..

إنت فعلًا حتة مني.. إنت أقرب حد ليا.. إوعى تسمح للموت ياخدك مني..

إنت لو مت أنا لازم أموت معاك.. إحنا لازم يضمنا قبر واحد ..إحنا لازم نقابل ربنا مع بعض.. إحنا عمر واحد وقلب واحد.. وشخصين..

بسطويسي إوعى تموت..

وصلت سيارة الإسعاف، فحملته على زراعي ووضعته في السيارة، طلبت ماسك أكسجين له وجلست إلى جانبه أتبادل معه نظرات صامته كانت تحكي تاريخنا كله..

قبلت يده اليمنى وطلبت منه أن يتماسك فالأمر بسيط وسينتهى بخير.. كانت دموعنا جميعًا تشرح مكانة بيسو في قلوبنا..

وكان صوت حسناء يشق جدار قلوبنا جميعًا..

بيسو أنا مليش غيرك.. متسيبنيش..

أنا مقدرش أعيش غير بيك.. إنت كل عمري..

[٩]
الحب هو الراعي الرسمي للبقاء حيا

دخلنا إلى العناية المركزة وفي دقائق معدودة تم عمل بعض الفحوصات وتقرر عمل صدمات كهربية لقلب بسطويسي، تبادلت مع الأطباء قلقي منها، إلا أنهم أكدوا لي أنها الحل الوحيد الآمن للحفاظ على حياته..

أخرجت الأختين حسناء وميسون من الغرفة، تبادلت مع صديقي نظرة يملؤها الخوف والقلق والوداع، تم تحضير جهاز الصدمات القلبية والتأكد من أنه مشحون..

أعطى الطبيب لبيسو حقنة مهدئة، وقفت فى زاوية الغرفة يقتلني الخوف عندما غاب بيسو عن الوعي.

إكشف صدره..

حطي جيل..

السرير مش مِلَمس!!

الجهاز تمام!!

هكذا كانت الكلمات تتسارع من حولي بين الطبيب وفريقه داخل غرفة العناية المُركزة.

صدمة كهربية ضربت قلب بيسو ليتوقف تمامًا بعدها، إشارات رسم القلب على المونيتور تُعطي خطًا أفقيًا لا حياة فيه.. تمر ثواني معدودات كأنهن الدهر ليستعيد قلب بيسو إشاراته الكهربية شبه الطبيعية، ثم بعض من المساج لعضلة القلب ترد له حياته مرة أخرى..

إلا أن ضربات القلب ما زالت مضطربة غير منتظمة، صعقة كهربية ثانية لقلب بيسو وبجرعة كهربية أعلى يتوقف على أثرها قلب الرجل تمامًا..

تمر مجموعة أخرى من الثواني المميتة ليبدأ بعدها القلب في العمل، يصرخ الطبيب بإعطائه عقارًا آخر بسرعة لتستقر حالة القلب..

النبض بدأ في الانتظام إلا أن بيسو في حالة من الإعياء الشديد، خرجت لأطمئن ميسون وحسناء، وطلبت منهن الهدوء لأعود إلى صديقي أجلس على كرسي عن يمينه أنتظر عودته..

أفاق بعد وقت لست أعلمه، كنت أنظر إليه وكأنه ولدي، كان بسطويسي بالفعل يشبه طفلًا نائمًا..

مخيف للغاية هذا الشعور.. شعور الفقد.. فتح عينيه وقال لي:

إيه النظام؟ شكلي لسه عايش!

أخذته بالحضن وقلت له أيوه كده فوق يا كلب السكك

وكانت الدموع تهطل من عيني، قال لي محاولًا الابتسام:

فين الحتة بتاعتي؟
مجنون أنت يا بسطا حتى وأنت على فراش الخوف..
ناديت حسنولا فدخلت وسلمت عليه بقلبها الذي كاد يتوقف لحظة توقف قلبه وقالت له:
سلامتك يا قلب حسنولا..

نظرات الحب الجارف كانت تظهر على رسام القلب موجات حب و عشق وهيام، ولمبات الإنذار كانت تعمل بقوة من فرط ما تشعر به من وجد وسحر وسعادة، دخل الطبيب مسرعًا وقال:
- بلاش زيارات دلوقت من فضلكم..
خلعت حسنولا يدها من يده بصعوبة وأظنها خرجت وقد ترك زراعه وقلبه بين يديها، مش قلتلك بتحبني زي ما بموت في أمها..
هكذا حدثني بيسو حينها ثم أردف قائلًا:
- مفيش حاجة أشربها!! استاذنت الطبيب وطلبت له عصير تفاح واستحلفني أن أخرج لحسنولا لتأخذ من الكوب شفطة علشان تحل عليه بركة شفايفها.. هكذا قال المعتوه، لأعترض قائلًا:
- يا ابنى هو دا وقته؟! فيرد:
- وهو فيه وقت تاني أحلى من ده.. دا هو ده الوقت المناسب بجد.
خرجت لها واستحييت أن أقول ما قال ملك العشق بيسو، فأخبرت ميسون بما طلب، أخذت مني العصير وجعلتها تتذوقه ثم جاءتني به، وناولتني إياه، لأقول لها ببعض جنون بيسو:

- هو احنا مش هنجيب عصير وتدوقيهولي بقى!!
تبسمت تبسم الموافقة لأننا مازلنا في سنة أولى بسطويسي.
أعطيته العصير فشرب منه بسعادة غامرة وكان يقول:
- العصير طعمه حسناء، طعمها غالب على التفاح.. قلت له:
- بس يا معتوه.. إحنا في الرعاية المركزة وإنت كنت بتموت من دقايق وقلبك كان واقف تمامًا.. ارحمني يا بسطويسي.
نظر إليّ مبتسمًا وقال:
- نفسي أعطيك شوية عصير تبل ريقك لكن مينفعش تشرب ورا حسنولا.. إنت عارفني بَغِير..
- يا عم أنا مش عايز أشرب من وراك ولا وراها..
إيه الغم اللي أنا فيه ده؟!!
ما تطلب عصير تاني لينا كلنا.. طلب بيسو فاعترضت وأخبرته:
لا يا بيسوا السكر غلط عليك دلوقت.. قالي لا..
كل السكر غلط إلا سكر حسنولا دي عسل نحل حياتي.
مجنون أنت يا بيسو!!

جاء العصير لي ولميسون، وقلت أقلد كلب السكك بسطا فجعلتها تشرب منه قليلًا وشربت من بعدها حيث كنا نقف متلاصقين بزاوية الغرفة.. وحيث بيسو وحسنولا يشربان الكوب الرابع بنفس الشاليمو مرددين:
أنا حبه وإنتي حبه.. علشان يا بيسو نزيد محبة.

الساعات التي انقضت كشفت لي محبتي لبسطا، كما كشفت لي عن زيف الحياة وخداعها.. الحياة أبسط من كل تعقيداتنا والموت خطوة على سلم السقوط، والحب هو الراعي الرسمي للبقاء حيًا..
بالورقة والقلم بيسوا مات لمدة دقيقة كاملة حين توقف قلبه عن الخفقان.. فيا ترى ماذا رأى بيسو في رحلة العودة من الموت!
سألته عن هذه الدقيقة فقال لي:
لقد كانت أعظم رحلة في تاريخي، لقد شعرت في طريق العودة إليكم أنها كانت أيامًا معدودات.. أنا لا أعرف كم غبت عن الوعي!
أخبرته أنها كانت دقيقة تقريبًا..
ليخبرني أن دقيقة الغياب عندنا كانت رحلة كاملة عند بيسو..

[١٠]
فتة بالموزة وحسنولا بالمكسرات

قضينا في الرعاية سبعة أيام بلياليها كانت أغرب من الخيال، بيسو وحسنولا كانوا حوار الجميع.
دخلت ذات يوم والناس تصفق وتضحك بصوتٍ عالٍ وإذا بسطويسي كلب السكك يرقص هو وحسنائه حيث يضع زراعه اليسرى على خصرها، أما زراعه اليمنى فكانت تمسك بحامل أجهزة المحاليل ومنظم ضربات القلب.. ومثبت العقل فى الدماغ.

كافيتريا المستشفى أصبحت تأتينا بأي عصير ومعه اتنين شاليموه، إرفع السماعة واطلب الكافيتريا وقول اتنين عصير عشاق والباقي معلوم..
لقد تم عمل وجبة باسمهما، عليك أن تطلب واحد بيسو وسيأتيك فتة بالموزة وحسنولا بالمكسرات.
نعم.. حسنولا بالمكسرات..
هكذا أطلق كلب السكك هذا الإسم على المهلبية بالمكسرات وسرعان ما انتشر الاسم..

بسطا المجنون كان يمشي فى طرقات المشفى لابسًا جاون لونه أزرق فاتح أشبه بلبس أهل السرايا الصفراء، وتحته سروال طويل ذو أستك لا يخفى على الناظر غالبًا مفصله في البلد عند عم أيوب الصُرماتي.

أيوه الصُرماتي.. دا راجل ترزي قديم بدأ حياته صانعًا للصُرم وقلب ترزي على كَبر.

السروال طويل يشبه هذا الذي يلبسه الصيادين ويسمونه في البلد "لباس المراكبية".. تخيل بسطا بالجاون ولباس المراكبية..

الطامة الكبرى أن كل الشباب الذين جاءوا إلى المشفى قلدوا كلب السكك ولبسوا جاونات وألبسة مراكبية.. جميع حوائط المشفى مرسوم عليها قلوب وحرفي الحاء والباء، وهناك كُشك أمام المشفى غير اسمه إلى بائع السعادة، يبيع جاونات وألبسة مراكبية وورد وقلوب حمراء مكتوب عليها ح...ب.

رأيت شابًا في الجبس متجهًا هو وخطيبته إلى بيسو الكلب ليوقع له على الجبس الذي كان مكتوبًا عليه)ح....ب) وقلب أحمر، ومعًا إلى الأبد..

في الرعاية المُركزة حيث ملاك الموت متواجد والدخول ليس كالخروج ولا ببساطته، كان هناك رجل سبعيني متصل بكل أجهزة ضخ الحياة ينظر إليهما وهما يسيران وملئ عينيه "آه لو رجعت يا عُمر واتحسنت الأحوال"!! رأيته يرقص فقط بحاجبيه -آخر ما بقى منه قادرًا على الحركة- حين كان بيسو والحسناء يسيران أمامه..

ثمانية وأربعون حالة ولادة في هذا الأسبوع سجلوا أسماءهم بيسو أو بسطا أو حسن.. والبنات حسناء وحسنولا وحسنات.

اتنين وعشرين حالة خُلع من نساء طلبن الدلع من أزواجهن كما تدلع حسناء وخمس حالات طلاق من رجال رأوا بيسو وكيف تعامله حسناءه.

كشك بائع اللذة والسعادة إستأجر مأذونًا من منطقة مجاورة.

لمستشفى ضاقت بنا زرعًا وطلبت الشرطة وقوات الانتشار السريع لطرد بائعي الكُشري وحمص الشام والحلبسة من أمام المستشفى ذات الخمس نجوم... نسيت أقولكم إننا خرجنا من المستشفى فى جمع غفير من الشباب في عدد ضخم من الحناطير والكارتات وصوت الدي جي يصدح..

آه لو لعبت يا زهر..

فضحتنا يا بيسو..

[١١]
الفرح الموعود

تم تحديد موعد الفرح ولكن كان هناك مفاجأة، بيسو شايف إن الفرح لازم يكون عندهم في البلد فى ميت أبو الغلابة.. قلت له:
- بالتأكيد إنت مجنون؟! مينفعش الكلام ده.. أبوها مش هيوافق..
في آخر المطاف وفي محاولة لحل الأزمة قال المجنون:
خلاص نعمل فرحين.. فرح لأهلها يفرحوا بيها، وفرحي أنا وأهلي وناسي، الفرح ميبقاش فرح غير عند أبويا وأمي، ولازم كتب الكتاب يكون هناك عند عم حسنين مأذون بلدنا اللي كتب لأبويا على أمي.
مجنون أنت يا بيسو، وهذا طلب مستحيل..
كتبنا الكتاب وعملنا الفرح في فندق خمس نجوم.. لكنه كان "فرح صايص" هكذا وصفه بيسوا.. كان الفرح يوم الأربعاء وقال بيسو في نهاية الفرح لحسنولا:
- إنتي في أوضة وأنا في أوضة.. الدخلة عندنا في البلد..

استيقظ الجميع في العاشرة صباحًا لنسافر إلى "ميت أبو الغلابة" لنعيش ليلة حقًا من ألف ليلة وليلة، على مدخل البلد وقف خلق

كثير ينتظرون، تم ذبح أربعة عجول لإطعام أهل القرية، وطبعًا بيسو كان لازم يبل إيده فى الدم "سلو بلدنا كده" هكذا قال بيسو..

دخلنا إلى بيت العريس حيث الدار الكبيرة كما يسمونها، بيسو هو الولد الوحيد على أربع بنات وأبوه الحاج سيد الصعيدي الشهير بالعُمدة رحب بنا بشدة، هو يعرفني جيدًا من حكايات بسطا عني، وقد التقيته مرات متعددة في زياراته لبسطا.

دخلت العروس من باب غير الذي دخلنا منه.. غاب بسطويسي قرب النصف ساعة ثم خرج علينا وهو يلبس جلابية وشال وفي يده عصا، كنت قد أقنعت نفسي بقلة الكلام هنا حيث بسطويسي كبير القوم ومعشوقهم.

ظهرت الحاجة الكبيرة أم بسطا ورحبت بي ودعت لي قائلة:

- عقبالك يا نضري وأشوفك فرحان بعروسة تكون من طوع يمينك، وأكملت حديثها وهي تنظر ولدها العريس بعين الرضا:

- بسطا دا حِيلة عُمري وولدي الحنين وخليفة أبوه في أمورنا كلياتها.. وفجأة نظرت إلى بسطا وقالت:

- خش يا ولدي إقلب فانلتك من العين.. العين فلقت الحجر يا قلب أُمك ثم التفتت وقالت:

- حاجة تِصرف العين يا ولدي.. دخل بيسو ليلبس الفانلة مقلوبة وخرج قَبَّل يد الحاجة وقالها إدعيلي يا أمه قالت بحنان:

-داعيالك يا ابن قلبي بالسعد والهنا ويجعل منك الكترة والخير وأعيش وأشيل ولادك وأولاد ولادك، ويهدي سرك ويطرح لك فيها البركة يا ابن قلبي.

الله على صدق الكلمات وروعتها وبساطتها وطيبتها وحسن منبتها..
بعد قليل جاء الحلاق ليحلق للعريس، كانت الكهارب تُعلق فى كل مكان وأصوات الميكروفونات تهز القرية، وأغاني لم أسمعها من قبل في قاهرة المُعِز..

العريس.. العريس

العروسة.. العروسة

العمدة.. العمدة

وشووبش يا حبايب العريس.. وناس تدفع ما يسمى بالنقطة..

كان الحلاق يحلق وهو يرقص فرحًا فدخله اليوم دخل عام كامل وبيسو ابن العمدة له مَعزة خاصة.. ضرب الحلاق مقصين في رأس المجنون ولَمّ اللي ربنا رزقه به وغاب حيث الولائم والطعام.

- يلا يا نضري علشان تلبس تُوبك.. هكذا قالت الحاجة الكبيرة، مِلت على بيسو وسألته:

- توب إيه يا سِيد المعلمين؟!

قال بهدووء:

أبويا وأمي لازم يفرحوا واللي عاجبهم هعمله، أمي حلفت لألبس الجلابية وألف البلد على المُهر وآجي أخطف العروسة على الحصان والبلد كلها تلف ورايا ومزيكة حسب الله تزفنا من أول البلد لغاية ساقية كفر المواردي..

لبس بسطا جلابية أخرى وشال يشبه العُمدة، وركب الفرس وخرج غير بعيد، ثم عاد لتركب أمامه المخطوفة حسنولا ليجري بها في

طرقات القرية وكأنما أخذها من الدنيا عنوة والبلد كلها تجري وراه وتغني..

يا عريس إرجع ورا

دي العروسة مأصلا..

وحوار يدور بين بيسو وحسنولا وكأنهما في عالم غير عالمنا..

عاد العريس والعروسة وأهل البلد وكان العصر قد دخل وقته فقام بيسو وأذن للصلاة وصلى بالناس جميعًا إمامًا عاقلًا، ثم مُدت الولائم والكل ياكل لا فوارق بينهم.. امتدت الولائم حتى بعد صلاة المغرب حيث حضر المأذون الذي سيكتب الكتاب المكتوب..

وشهود جدد وجنون ما بعده جنون..

والآن ستبدأ الحفلة..

[١٢]
أنا وعينيك والزمن

إنتي عارفة أنا حبيتك إزاي!!

أنا أول ما شفتك عشقتك.. عنيكي كان فيهم حاجة صعب أوصفها، إنتي دخلتي من هنا وأنا عشقت أمك من هنا..

كان بيسو كلب السكك يحكي قصة حبه لها..

الميدان مكانش اللقاء الأول.. الميدان كان المُتابعة.. فاكرة لما جيتي مع صاحبتك منى اللي كانت جاية تكشف.. أنا فى اللحظة دي عشقتك..

تتخيلي إن أنا بتاع ثورات!! أنا بتاع حب وبس..

لما اتكلمتي في التليفون وسمعتك بتقولي إنك نازلة الميدان.. نازلة علشان تشاركي في الثورة، أنا نزلت أدور عليكي وبس، علشان كده جيت جنبك أحميكي حتى من نفسك، من نفسي، من العسكري، من عيون الناس، ومن قلب الميدان أحسن هو كمان يحبك..

أنا بعشق إنك حته مني.. وأحلى حته..

أنا عامل زي العيل اللي كان تايه من أمه ولقاها..

إنتي مش حته مني وبس ولا أحلى حته وبس.. إنتي أحلى وأهم وأجمل وأعظم حدث في عمري.
ميغركيش جنوني.. دا مش جنون.. دي سعادة كسرت خط الهبل، إنتي اللحظة اللي القدر شاء إنه يرضيني فيها، انتي المعنى الحقيقي لحياتي وعشقي.. إنتي ذكرياتي اللي هكتبها..

كانت حسنولا تذوب في دفء الكلمات وتقول بعينيها ما لا تعرفه حروف اللغة، كانت تغطيه بنظراتها، وتؤويه بدفء صوتها، وتدخله الفردوس حين تربت على كتفه الطيب بأناملها القادمة من زمن نساء الأرض
يوم النزول الأول والزواج الأول والعيش على ضفتي نهر الحياة الأولى.

قالت له وهو لم يغلق باب فمه نصف عقد من الكلام:
- هو أنا ليا حد غيرك يا بيسو!! دا إنت قلبي وعمري وحياتي..

الجدع كان محتاج يسمع الكلام ده واحنا قدام أي رعاية مُركزة فيها استعدادات إنقاذ مصابي السكتة القلبية..
بيسو يعشقها عشق الصباح للنور، وعشق الشجر للطيور، وعشق الأم لصوت بكاء وليدها لحظة قدومه للحياة.
دمت يا صديقي رمزًا للحب الطاهر..

[١٣]
صباحية مباركة يا عريس

استيقظت في حوالي التاسعة صباحًا على قرع للباب والبنت الصغيرة التي تعمل مع أم بيسو تنادي:

- يا دكتور عوبد الورد.. يا دكتووور..

فتحت الباب وبعدها عيناي اللتان نامتا مع ساعات الصُبح الاولى، فإذا بها تخبرني أن الظهر قرب يأذن والناس كلها صحيت.. إلا إنت.. وزمانك على لحم بطنك والجوع قاطعك وكلام ينبثق من بين صخرة ورود حنان الكون.

غسلت وجهي وتوضأت، خرجت لتقع عيني على ميسون التي مازالت تسكن قوقعة الصمت، كانت الفوطة على رقبتي وأنا ألبس جلابية بيسو صاحبي الحق..

قامت ميسون وبنظرة طبقية أخذت الفوطة وقالت "ميصحش كده" مع ابتسامة سهلة وكأني خرجت على الناس من الحمام بملابسي الداخلية.

ضحكت لها:

- وقلت دا عادى مش عيب.

وفجأة يحتضنني أحد من خلفي فالتفتت له ليحتضنني وجهًا لوجه وهو يغني..

حلوة بلادي السمرة بلادي..

إنه المجنون بيسو..

تسمرت مكاني وهو يحاول جذبي لأرقص معه وزغروطة طويلة المدى تطل علينا من داخل البيت.. الحاجة الكبيرة جت من جوه وقالت لي:

- صباح الخير يا ولدي.. لعلك نمت كويس والناموس مقلقكش..

أقْبلَت على بيسو وربتت على كتفه واحتضنته وقالت:

- صباحية مباركة يا قلب أمك.

إنحنى بيسو على يديها يُقبلها وهو يتراقص، أخذت تدعو له يجبرني رب العباد فيك ويجعل منك الذرية الصالحة ويرضى عنك يا ابن قلبي.. ثم قالت له:

- إنت إيه اللي طلعك من أوضتك؟! روح يا واد لعروستك..

كانت عينا بيسو تفيض حبًا وحنانًا ورضًا، وكانت ضحكته تملأ المكان سعادة وسكينة وأمل..

في هذه اللحظة خرجت حسنولا.. ربة مملكة الجمال في قلب بيسو تلبس روبًا فضفاضًا وتلف شعرها على رأسها كملكة متوجة.

نَظَرَت إلى أم بيسو واحتضنتها وقالت "صباح الخير يا ماما الحاجة" لترد أمه:

- صباحية مباركة يا عروستنا، ويوم حلو في جمالك يا قلبي ويا مراة الغالي..

نظرة من الحاجة إلى البنت الصغيرة ففهمت وذهبت لتُحضر شيئًا تغطي به شعر حسنولا الذي لا تقاومه الرياح ولا الظنون..

غطت شعر الحسناء لتصبح كالهنود الجميلات وبيسو المجنون يقول:

- حلاوتك وإنت هندي وسنارة وعويس.. والله مانجا.. وأحلى من المانجا..

جلس بجوارها ووضع يده على كتفها، نظر في عينيها وهو يضغط على شفته السفلى بأسنان فكة العلوي ويهز رأسه يمينًا وشمالًا قائلًا:

- والنعمة بموت فيكي وبعشقك..

كانت عيناها تفيضان حبًا وسعادة ردت قائلة "ربنا يخليك ليا" ويخليكي ليا ولحم وعضم.. وكانت هذه كلمات بيسو المجنون وهو يرد عليها..

أطباق عامرة بالكعك والبسكوت والغُريبة قد أُحضرت، أخذت حسنولا واحدة وناولتها بيسوا ليأكلها، فقال:

- يمين على عظيم ما ياكلها غيرك..

أطاعته وأكلت جزءًا منها، فأمسك يدها وأكل باقي الكعكة وأصابعها، وغالبًا زراعها حتى الكوع كاد أن يبتلعه بسطا المجنون..

إلتفتت إلى ميسون وأنا أمضغ شفتاي ولساني وصمتي وصبري والجوع من بعدهم.. كنت أريد أن آكل مثلما فعل بيسو.. لكن ليس بعد..
نظرت نحو ميسون التي تجلس سارحةً في عالمها الخاص، وشكلها الصمت واخداه مقاولة وأنا عايز شوية حب وجنون وهبل وعلى رأي بيسو "أي هبل في الجبل".

قالت الحاجة لبيسو قوم يا ولدي إلبس تقيل واستر نفسك..
ابتسمت من الكلمة وكدت أقول لها "إبنك مجنون يا حاجة"
جاءت إحداهن بعباءة العمدة لتضعها على كتفي بيسو، كان بعض الهواء البارد يمر من المكان الذي نجلس فيه وكأنه يبحث لنفسه عن بعض الدفء، فتح بيسوا العباءة وقال لحسنائه "متيجي معايا في العباية"
إحمر وجهها أمام الجميع فخلع عباءته ووضعها على كتفيها..
مجنونٌ أنت يا صديقي الذي أحبه..

[١٤]
وحشاني مووت

بعد العودة إلى قاهرة المُعز، يبدو أن خلافًا طرأ بين بيسو والحسناء فأرسلت إليه سيلًا من الكلمات الجارحة لقلبه الذي يعشقها، وقد أرسل إليّ رده عليها لأنشره وهو في الطريق إليها..

هات العواقب سليمة يا رب..

بتقولي عايزه أبعد!! طب متبعدي..

هو إنتي فاكرة لما تبعدي إنك هتبعدي

أنا خلاص بقيت عايش على وجودك

وإنتي ولو حتى غايبة برضه موجودة..

المسألة مبقتش في وجودك

المسألة أكبر كتير من وجودك

جسدك يا روحي وإنتي روحي

غايبة حاضرة..

إنتي حاضرة من زمان أيام ما كنا في المحاضرة

إنتي زي النور اللي بشوف بيه الطريق
وإنتي الهوا اللي بيشعل جوا قلبي دا الحريق
إنتي نسمة شوق
وحبة حب من أيام زمان الحب يا غالية
إنتي غالية وغصب عني
وغصب عنك وغصب عن ذات الغضب
وإذا كنتي مش عارفة إنتي مين
فانتي اليمين اللي اتحلف من غير تلف
من غير يمين
إنتي اللي نور العين فداكي
وإنتي اللي ساكنة القلب ياكي
وإنتي اللي دمعة من العنين والليل بواكي..
إنتي أغلى حاجة مرت من سنين
إنتي السنين.. وإنتي الحنين
وإنتي الهوى اللي زار فؤادي في البوادي..
راجعة تقولي أنا راح أغيب
هتغيبي فين!
وإنتي اللي ساكنة القلب

والباب اللي فيه مقفول دورين..
طب غيبي ساعة أو حتى ثانية
القلب دا لو غبتي عنه يروح لمين!
هو إنتي فاكرة إني أعيش من غير وجودك!!
مجنونة والله وهبلة من هبلي
يا بت اعقلي واهدي حبتين
مش كل يوم تبقي بحال
دا أنا الجنون عامله سبيل
وبسقي منه الناس يوماتي
بطل تهاتي وتعالي هاتي من السبيل حبة جنون
إياكش أكون مجنون بجد
ولا عادش حد يقولي إعقل حبتين..
أنا قلت أهه
مجنون وعارف إني مجنون
بالعنين.. بالوجنتين.. مجنون وراضي..
وإذا كنت ناوية تهجي من قلبي
مفيش عند الضلوع سكة خروج
مقفول عليكي..

ولحد ما آجي أشوف إيه الحكاية
خليلي بالك مني عندك
ما أنا أصلي وأنا خارج نسيتني جوه قلبك
راجع أوام.. شوفي بقى هتقولي إيه..
لما عنيه تشوف عنيكي
إياكشي ناسيه قد إيه أنا بعشقك
ولا كلامي لما بحكي عنك واسمعك
وحشاني موت..
قاطع خلاص التذكرة
والقطر جاي وأنا برضه جاي
وحشاني موووووت..

[١٥]
طلقني يا بيسو

كان الجو ممطرًا بعد أيام من غبار ملأ قلوب العباد بآلام التنفس، بعدها انقلب التراب طينًا، واقفهر وجه السماء ذات اللون الوردي..

دخل الغلبان بيسو إلى بيته فإذا بالحسناء تحزم حقائبها وهو لا يعرف السبب الحقيقي لما تفعل، دموعها تنزل على خديها وقد تلونت باللون البرتقالي الذي تلبسه..

ذاك اللون الذي يعطيها طعمًا، وينسج حولها إحساسًا ويفوح برائحة عطرها الأزلي الذي تتحدث حوائط المكان عنه..

كان ضوء الغرفة خافتًا كما كان صوت بيسو الطيب ضعيفًا، سألها في استغراب وكثير من الألم يعتصره:

- إنتي بتعملي إيه؟!

ردت بوجع غير مفهوم لديه "إحنا لازم نسيب بعض"

كانت الجملة كحبات رصاص من مدفع آلي لا قلب له توجه نحو بيسو..

- إنتي فاهمة بتقولي إيه؟

-أيوه فاهمة.. طلقني يا بيسو.

بيسو رغم حبه المجنون لها إلا أنه صاحب كرامة مخيفة في كثير من الأحيان تلك التي قد تدفعه إلى قرارات عصبية كان لا يندم عليها لاحقًا، وكنت عندما ألومه يقول لي كلمته العاقلة..

"صعب أخسر نفسي قدام نفسي.. مش هعرف أقف قدامي مرة تانية.. الإنسان يا صاحبي ملوش بعد نفسه حد يخاف عليه".

كان يناديني بصاحبي في لحظات الوجع فقط، كنت أعلم من النداء كم هو موجوع بل ومكسور من حنايا قلبه.. سألها بيسو:

-هو إيه اللي جرى يستاهل كل ده!! أنا عملت إيه يخليكي ببساطة تقولي نسيب بعض؟!

انفجرت فى وجهه بالبكاء ذلك السلاح الفتاك الذي لم يتحمله بيسو يومًا، كانت دموعها تحرق قلبه وكان يبكي معها لبكائها وهو لا يعلم لا سبب بكائها ولا علة بكائه غير أنه غير قادر أن يراها تبكي وحدها..

احتضنها برفق ومسح على شعرها حتى توقفت عن البكاء، ثم سألها في هدوء:

- إيه اللي مضايقك؟!

قالت وهي متأثرة جدًا بآخر فيلم رأته على شاشة التلفاز..

إنت مش حاسس بيا.. ولا مقدر حبي ليك.. ولا مهتم بيا، فين بيسو بتاع زمان!؟ فين قلقك عليا في الصغيرة والكبيرة؟! إنت متخيل إنك بقالك أسبوعين مجبتش ورد وإنت جاي، إنشاله وردة من الشارع!! لا يا بيسوا إنت إتغيرت..

إنت مش بيسو اللي حبيته، واضح إنك زهقت مني وإني لما بقيت ملكك مبقيتش غالية عندك.. إنت مش حاسس إنت إتغيرت إزاي! أنا حاسة إنك واحد تاني غير اللي اتجوزته..

كان بعض ما تقول حقيقيًا لكنها لم تكن تعلم باقي الصورة.. فبيسو عنده من المشاكل ما يجعله غارقا فى النسيان، وبعض المشاكل المادية التي لا يحكيها، عزة نفسه تجعله يتردد في طلب المال من أبيه؛ خاصة بعد أن أصبح صاحب بيت، فوالده يعطيه كلما زار البلد لكنه غاب هذه المرة..

أمه مصابة بورم بالثدي وهي لا تعرف ما هو، وتقرير الأشعة يوحي بما يخيف.. بسطا الدنيا بتعطيه على وشه بالقلم ومحتاج سند يطبطب عليه، وهو من حُبه لها مخبي عنها المواجع..

باين عليه إنه متغير، وإنه مش بيسو المجنون.. لكن الحسناء كانت متسرعة وهذا جزء من شخصيتها، فهي تأخذ الأمور على عجل وتنسف التاريخ عند أول منعطف، وتظن أن دوام الحال ممكن،

هي ما زالت الطفلة التي تراه أبيها وحبيبها، لا يتعبه شيء.. ولا يرده عن حبها شيء..

هي دائمًا ما تربط بين حبه لها وبين ما لا تعرفه من أحداث، فإذا بها تراه مقصرًا وترى الحياة غير مقبولة إن كان الحب قد خفت نوره..

تبسم بيسو ابتسامة المكلوم وقال لها:

إنتي بس مش عارفة ظروفي، أنا عندي شوية مشاكل في الشغل والحاجة فيها شوية تعب، قالت له وإنت مبتحكيليش ليه!!

قال موجوعًا منها ومن الحياة:

أنا بس مش عايز أشيلك الهم كفاية عليكي البيت والتعب، وجنوني.. إعملي حسابك إن إحنا مسافرين بكرة البلد..

مش هسافر معاك غير لما تصالحني..

كانت حالته المزاجية سيئة لكنه قبل رأسها وقال:

حقك على راسي يا ستي.. هو أنا ليا حد غيرك!! دا إنتي الحتة الحلوة اللي في حياتي..

وضع نفسه على السرير مجهدًا وهو يتذكر أيامه الخوالي معها، ويشق في نفسه كيف هان عليها أن تطلب فراقه وبهذه السهولة،

لكنه كان يعزي نفسه قائلًا: إنها المرأة يا سيدي.. إما كل شيء أو لا شيء..

نامت بجواره وهي تُحدث نفسها "مكانش له لازمة أعمل كده كان ممكن أتكلم معاه بهدوء واحكي قلقي.. مكنلوش لازمة ألم الشنطة.. بيسو حنين وغلبان وبيحبني موت.. دا هو دا مجنون حسنولا"..

كان الوقت يسير ببطء والنوم لم يصل في موعده ولا بعد موعده، إن الوجع الذي يتقاضاه الشخص منا جراء الصبر على ما لا يعلم أكبر بكثير مما يمكن أن يصيبه إن كان يعلم الأمر ويواجهه.

[١٦]
زيارة إلى سيلانترو
بحبك قد شكك فيا

طلب مني بيسو أن نذهب إلى سيلانترو فسألته لماذا سيلانترو بالذات؟ قال هنا كان أول لقاء غرامي بيننا، أول مرة قابلتها واعترفت بجنوني وحبي لها، أول مرة قلبي يدق وكنت خايف إنه يقف..

ذهبنا سويًا ودخلنا المحل وكان كل العاملين يعرفونه حق المعرفة قال

أحدهم:

ترابيزة سيادتك مشغولة ممكن ننتظر عشر دقايق وتفضى.

ترابيزة سيادتك؟.. سألت بيسو.. قالي طبعًا.. هي ترابيزة واحدة مغيرنهاش أبدًا..

بعد قليل نادانا النادل أن نصعد حيث مكان بيسو المفضل أصبح خاليًا، صعدنا درجات سلم خشبي كانت المنضدة في الجانب الأيسر من السلم

جلسنا وجاء أحدهم قائلًا:

-أومال فين الهانم يا مَلِك؟! فين وش السعد والهنا..

وطبعًا بيسو عديم الفلاتر لم يسكت حكى حكاية الحمل وإزاي هيبقى أب والفرحة كانت دائمًا تسبق كلماته..

جلسنا إلى المنضدة، التفت المجنون إلى الحائط وباسه بوسة أفلام والناس تنظر إلينا -وأنا في نص هدومي من الخجل والهبل- ثم أسند رأسه إلى الحائط وأخذ صورة سيلفي وقال بعد دقيقة "وصلت خلاص"

فهمت فيما بعد أنه أرسل الصورة لحسنولا، اقتربت من الحائط لأقرأ ما عليه..

قلب صغير ومكتوب "بيسوا ♡حسناء"، وكلمة بحبك في كل زوايا المكان، قلب صغير وآخر كبير، حرفي الحاء والباء.. حُب.. حسناء ♡ بيسو..

كنت أنظر إلى براءته وطيب قلبه الذي لم يعد موجودًا في هذا العالم، هو ككل الرجال، رجل بكل عيوب الرجال لكن قلبه كان ملكًا لها، كان يكلم كل الناس بلا قلب فقد كان قلبه الحقيقي معها، مع صاحبة العقل المدهوس في خلاط الحريم.. حسنولا أحلى فله..

كما كان يصفها مجنون السكك..

ورغم هذا الحب العظيم لم ينج بيسو من الشك المؤلم، كانت تحاسبه على نظراته وكلماته ولمحاته وأنفاسه كانت خنقاه.. وكان راضي.

ورغم أنه يصعب خيانتها فجمالها فوق زمان ومكان وحدث الخيانة، وحبه لها نوع من الاستسلام المصحوب بالفرحة والرضا..

أخرج المجنون قلمًا تأكد أنه من النوع الدائم في الكتابة، ثم صعد على الترابيزة التي نجلس عليها والجميع ينظر إلينا، وكتب بخط كبير لا يخطئه الناظر..

بحبك قد شكك فيا..

وبعشق عنيكي اللي فيها جمال الزمان والمكان اللي ليا

ولو عمرى طال ولو كان محال هحبك وأحبك

وأقول اللي كان.. وإن إنتي ليا..

ثم وقع باسمه.. بيسو عديم القلب ودا بسببك..

يا تجيبي قلبي اللي عندك يا تسيبي بيسو يموت..

يا قلب بيسو اللي ضاع.. أنا ضعت من غيرك..

إلهي يجعل فى قلبك بيسو وتنسي الشك يا هبلة

دا أنا كنت من غيرك تايه وملهوش حد..

كل الحضور وقفوا لينظروا ما يفعل المجنون، طالبته أن ينزل وهو عامل فيها مايكل أنجلو، أخذت منه القلم وكتبت..

بيسوا كلب السكك..

صديقي الذي أحبه..

[١٧]
حسنولا بتولد

في الرابعة صباحًا دق الهاتف مرارًا، استيقظت أنظر إليه، كان بيسوا كلب السكك فتحت عيناي بصعوبة وكلمته صائحًا:

فيه إيه يا طين البرك؟؟!

قال بصوت مضطرب:

الطلق جه لحسناء، وهي تعبانة قوي دلوقت.. إصحى يا ولد أبوي..

قالها بلكنته الصعيدية الجميلة، قمت في الحال، لبست وتوجهت إلى المشفى مباشرةً، وصلت قبله بقليل، ورتبت أمر دخولها.

وصل ومعه الحاجة الكبيرة وحسنولا والفتاة التي تناديني دكتور عوبد الورد..

كانت الحاجة تحمل في يدها مِسبحة تذكر الله وتدعوا وتقول له إجمد يا قلب أمك دي ولادة يا ولدي.. شوية وابقى جدة يا نور عين أمك.. ثم تنظر إلى حسناء وتقول بصوت خافت "هات المخبي سليم يا رب".

كانت حسناء تصرخ صرخات مكتومة وتمسك بيد بيسو تستقوي بها على الألم، كان بيسو يبكي معها، بل ويضع يده على بطنها وملامح وجهه كأنه يشاركها آلام المخاض.
جاءت الممرضة المسؤولة لتنقل حسنولا إلى غرفة العمليات، أمسكت يده وقالت "متسيبنيش يا بيبي"
وده وقت بيبي يا بت الناس!! كنت أقول في نفسي..

توجهنا جميعًا إلى غرفة العمليات، لبس بيسو لبسًا معقمًا ليدخل معها وطلب مني أن ألبس أنا الآخر وقال لي:
-الولاد محدش هيطاهرهم غيرك.
دخلت معه للعمليات لكنني وقفت خارج حجرة الولادة، ليقول الطبيب المختص احنا لازم هنولد قيصري حالة التوأم مينفعش ننتظر عليها..
حضر طبيب التخدير وطلب منها الجلوس لأخذ حقنة التخدير النصفي في الظهر، اقترب بيسو منها واحتضنها وهي على سرير العمليات..

طهر الطبيب مكان الحقنة وأعطاها المخدر النصفي، صرخت من الألم لكن بيسو كان هو الموجوع..

تم إجراء الجراحة بسرعة فائقة ليخرج الطفلين إلى الحياة يصرخان كما بيسو كلب السكك.. كانا جميلين كأمهما، وسيكونان مجنونان كابيهما..

كان بيسو قد أُخرج من غرفة العمليات ليقف بجواري، رأى الطفلين فضحك مثلهما، ثم سأل الممرضات عن حال حسناءه التي طال غيابها:

-وهي عامله إيه؟

بعد قليل شعرت بحركة غير عادية خارج غرفة العمليات، أدركت أن هناك خطب ما، سمعت طبيب التخدير يقول:

-احجز دم بسرعة.

هذه كلمات تُقلق جراح مثلي، بيسو قرأ القلق في عيني فقال:

فيه حاجة غلط.. أنا داخل تعالى معايا..

فعلًا كان هناك نزيف.. في حالات قليلة الرحم لا ينقبض بعد الولادة ليعود لوضعه الطبيعي ويحدث نزيفًا قد يكون قاتلًا، ويكون حله الوحيد استئصال الرحم..

كانت الحسناء في حالة شديدة من الإعياء، لقد فقدت الكثير من الدم، أشار الطبيب إليّ قائلًا:

احتمال نضطر نشيل الرحم..

وقف بيسو فاقدًا للنطق لثوان من وقع ما سمع على نفسه، ثم صرخ في وجهه إعمل أي حاجة المهم هي تكون بخير.. قال الطبيب

- استعجلوا الدم بسرعة..

فجأة أخرج بيسو وصلة وريديه من الدرج أدخل ناحية منها في ذراعه والأخرى في ذراع حسناءه.. صاح طبيب التخدير:

- مينفعش كده.. كده خطر.. الدم لازم يتعمل له ماتشنج.

قال بيسوا:

إحنا دمنا واحد.. وأكيد هي هتقبله، دي حته مني يا عم إنت وهو..

كانت الدموع تتساقط منه وهي في إعياء يجعلها غير مدركة لما يحدث من حولها، كان الدم الذى يبلل أيدي الجراح دم بيسوا الذي ينزف من رحمها.

تبادلت مع الطبيب نظرة أقول فيها "لو مفيش حل شيل الرحم"

كان الطبيب قلقًا جدًا فقد طال وقت النزيف وكثرت كميته، أشار إلى المساعدين بإحضار آلات استئصال الرحم.. في هذه اللحظة كان كل شيء مظلمًا، وقفت إلى جوار بيسو أحاول تهدأته، ليصرخ الطبيب فجأة قائلًا:

-الله.. الله.. الرحم بدأ ينقبض.. شد أكتر.

كان الرحم في هذه اللحظة يستعيد حياته ليتوقف النزف تدريجيًا، كان جزءًا كبيرًا من دم بيسو قد نُقل إليها، خلعت الجهاز من يد بيسو الذى أصبح خائر القوى، نام لحظتها على ترولي بجوارها.. كانا يلدان معًا..

أصبحت رأسه بجوار رأسها، ويداهما متشابكتان، قواهما خائرة..
كان يتمتم لها بصوته الضعيف:
-أنا بعشق أمك.. وهى ترد عليه بكل ضعف:
- وأنا بحبك يا بيبي..
نقلا إلى الحجرة معًا وكل واحد منهما يضم طفلًا إلى صدره والناس تنظر في إعجاب، بيسو يقول ضاحكًا "أنا ولدت خلاص"، سألها وهما في الطريق للحجرة:
- هنسميهم إيه؟!
اختار هو اسم حمزة بينما هي قالت:
سميه ناصر على اسم صاحب عمرك.. أنا عارفة إنك نفسك في الإسم ده..

[١٨]
نسخة الخيانة الجديدة
لأقعدن على الطريق وأشتكي

استيقظت على جرس الباب يدق بشدة، قمت فزعًا من صوته الذي أكرهه، فتحت الباب فإذا بيسو كلب السكك صديقي الصدوق حاملًا طفله حمزاوي على كتفه ومعاه شنطة هدومه.

أعطاني حمزاوي الذي أحبه ودخل إلى المطبخ فتح التلاجة وأخرج طعامًا وضعه فوق البوتاجاز وقالي: "رضع حمزاوي بسرعة"

كدت أُخرج صدري الخالي من أي شيء وأُرضعه، فأدرك الموقف وقال:

- البيرونة في الشنطة.. دفيها ورضعه.

وبينا هو يأكل ما أخرج من الطعام كنت أنا أُطعم حمزاوي ذو الخدود الممتلئة والبسمة الجميلة.. أنهى طعامه ثم سألني:

تشرب شاي يا عوبد الورد؟!

قلت له: "لا يا بسطويسي"

صنع كوبًا من الشاي وتمدد على أريكة في الصالة عندي وقال لي:

- أنا جاي أقعد عندك قد أسبوعين تلاتة، أنا شكلي منفعش في الجواز.. قلت له:
- خير.. إيه اللي جرى تاني.. قال في هدوء غير معهود:
- المجنونة فاكرة إني بخونها.. تصور أنا أخونها!!
وبتقولي أنا خلاص فوقت وعرفتك على حقيقتك يا بتاع لولا..
واضح إنها إتجننت وأنا مرارتي مش متحملة ولأني فعلًا مخنتهاش، فضلت أسيب أنا البيت وخدت معايا حمزاوي، ولميت شنطة هدومي وجيت عندك..

دقائق قصيرة مرت، ثم سمعت صوت شخير عظيم..
بيسو كلب السكك نام وتركني أنا وحمزاوي نلعب..

[١٩]
اعتراف مالوش دليل

وأنا اقرأ يوميات بيسو كلب السكك وجدت هذه القصيدة وقد كُتب عنوانًا لها..

غضبانة ليه؟!

روحي نامي لأجل أقول للناس حكايتي
إنتي فاكرة لما غبتي كنتي غايبة!!
لا يمين الله ما كنتي عني غايبة
دا إنتي كنت تزوري قلبي في المنام الليل بطوله
تحكي ليا وأحكي ليكي كل حاجة وكل كلمة
واللي نعيده نقوله..
إنتي فاكرة البعد كان بُعد المكان
تبقي خايبة
واللي معرفتيش تصاحبيه الزمان
إنتي من يوم ما ألتقينا في الميدان
والزمن كاتبك في قلبي من زمان..

إنتي صعب تصدقيني طب وديني
إن عمري في يوم ما خُنتك
حتى وإنتي في عِز جهلك
والغضب راكب دماغك وسط أهلك..
قال وبتقولي إني غامض حبتين
طب منين!!
دا الكتاب اللي حكايتي جوه منه بين إيديكي
والحكاية اللي بقولها كل ليلة وكل يوم كانت عنيكي..
وانتي صعب تصدقي إن دي هي الحكاية
البساطة اللي بعيشها مش بعيشها غير معاكي
وانت ليه مش قادرة حتى تصدقي
إنك حكايتي والرواية
وأنك إنتي أحلى حدوته في ليالي
ألف ليلة من البداية وللنهاية..
إنك إنتي شهرزاد
وإنك إنتي حلم عاد
وإنك إنتي الحكاية والرواية..
صعب الفراق والموت أخف
وإذا كان مكتوبلي في هواكي إني أخِف..
فالموت أخَف..

يا احلى حاجة في الحياة
أنا حلقي جف
وإنتي ولا سامعة الزعاج
و إنتي ولا عارفة الوجع
روحي نامي
وسيبيني أحكي للبشر في الليل حكايتي
كلمات في ليلي حيث لا قمر ..

إمضاء..
بيسو كلب السكك.. كما يسميني صاحب العمر..

[٢٠]
اليوم التالي

استيقظت من النوم وبجواري حمزاوي ذلك الرضيع الجميل الذي يسعدني وجوده معي، كان حمزاوي ما يزال نائمًا وكذلك كلب السكك أبوه، أيقظته من نومه فاليوم الجمعة وسنذهب إلى الصلاة سويًا..

لبس بيسو بدلة من دولابي واختار رابطة عنق حمراء وقميص أبيض لم ألبسه من قبل، وفتح إذاعة القرآن على سورة الكهف بصوت الشيخ عبد الباسط.

ناديت مديرة المنزل لتُحضر لنا الفطور، وكان طبعًا طلب بيسو لها:

عايز شوية فول بالزيت الحار وبصلتين خُضر وشوية جرجير ومتنسيش العيش البلدي يكون سخن..

أفطرنا سريعًا.. وطلب بيسو كوبًا من الشاي -علشان يعدل دماغه- كان حمزاوي قد استيقظ فحملته على كتفي، ويقوم بيسو بتشغيل هذه الأغنية..

عايز أطمن عليك..

وانسى روحي بين إيديك..

أعاد تشغيل الأغنية للمرة العاشرة، وأنا أحاول التغاضي عما يفعل، لكن تعبيرات وجهه وحاله الغريب جعلني أساله:

هو إيه الموضوع يا خلفة الهم؟!

قال لي والبسمة تملأ وجهه:

ما هي عندها حق تزعل وتشك فيا..

سألته بهدوء:

-إنت بتخونها يا كلب السكك؟!

رد غاضبًا:

مستحيل.. حسنولا صعب أخونها، دي متركبة في قلبي زي الحساسات.. دي هي كود الحب اللي بيخلي قلبي يدق..

أخونها إزاي!!

طب دا هي الحب الوحيد في عمري كله..

كانت عيناه تفيض نورًا وحبًا وحنانًا، كان صادقًا إلى أبعد الحدود.. ثم اكمل قائلًا:

هي عندها حق.. دكتور نفساوي زيي بيعدي عليه أشكال وألوان.. اللي عيانة واللي بتتدلع، واللي راسمه على حب.. يبقى من حقها تقلق وتشك..

سألته:

- ومين لولا دي يا بيسو؟

- دي عيانة متدلعة بزيادة، ولأجل النصيب تيجي حسنولا العيادة وهي موجودة والواد علي السكرتير جرجرته في الكلام وشكله لخبط

-سنة أمه منقطة قطران- وتركني واتجه نحو البلكونة يشم الهواء وهو يغني:

قولي عمري يساوي إيه لو مكونتش جنبي فيه
لو معتشتش عمري جنبك قولي بس هعيشه ليه
مهما تبعد قلبي شايفك مهما غبت بحس بيك
مهما طال البعد عنك بعدي بيقربني ليك..

[٢١]
الاختيار الخطأ

تمر الأيام والليالي، ولا شيء يتغير، يظل الشك والجنون مسيطران على حياة الثنائي المخبول بيسو وحسنولا..

بيقولي لازم أطلقها.. هي صحيح حتة من قلبي لكن لازم أشتري نفسي.. أنا بجد تعبت.. الشك الذي لا ينتهي.. وصبغ كل شيئ بقلق عدم الرضا

أنا عملت كل حاجة علشانها، قاطعت الحريم اللي بيعشقوني علشانها، وبنيت لها جوه القلب محراب..

أنا إتحولت لشخص تاني علشان خاطرها، أنا بطلت أضحك وأهرج علشان خاطرها.. أنا مبقيتش أنا علشان خاطرها..

أنا مش مرتاح لوضعي ده، أنا اختياري كان غلط من البداية، ولازم أصلح الغلط ده.

أنا لازم اشتري نفسي من تاني، لازم أرجع أحب الحياة علشاني، لازم أرجع مجنون لأن ده طبعي، أنا مش الشخص العاقل بزيادة ده أنا جنوني هو قمة عقلي..

كانت هذه كلمات بيسو كلب السكك صديقي.. كمية العقل والحكمة في كلماته أصابتني بالقلق..

بيسو مش بيسو..
بيسو العاقل ده معناه إنه في قمة الإكتئاب..
قاطعت كلماته وقلت له:
قوم بينا نروح الحُسين نصلي ركعتين وربنا يقدم اللي فيه الخير..
ذهبنا حيث مستقر راحتنا في باحة الحسين الواسعة، الإضاءات صاخبة، والأصوات يعلوها بهجة الضوء اللامع، والنفوس بين تائهة وضائعة وأنا أُرقب الأحداث من فوق فوهة البركان..

تمر نجفة صديقة النيزك الذي غير وجه المكان، جلست بجواري وقالت:
- وحياة غلاوتك في قلبي لتوريني جمال ابتسامتك.
نظرت لها مبتسمًا، وأشرت إلى فتحة ثيابها التي لم يغلقها تراب النيزك وقلت لها "لمي نفسك يا لمبة".
ضحكت ضحكة جمعت علينا أهل الخليج من زوار الحُسين بغير ما طاعة، وقطاع الطرق من البائعين والعازفين وسحالي منطقة الدرب وتحت الرَبع، لقد تكسر من هول ضحكتها بعض من ضلوع الشيوخ العابرين والسادة الزائرين.. والمحلقين والمتحلقين.. والتائهين والتائبين.. وبائعي سِبح التوبة من بائعي اللذة الحرام، وأكواب رجل العرقسوس ومعه بعض من الرجال المجوس..
نظرت إليها بغضب اصمتها، وقال بيسو فى نفس اللحظة "إلعب يا مُلعب".

التفتت إليه بغضب من نوع آخر إلا أنها قالت له:
الحلو من أنهي خرابة!!
ضحك بيسو ضحكة موازية لها جمعت علينا الشامي والمغربي وقال لها:
الحلو من حلوان ولو مش عاجبك يبقى من أسوان ولو الظروف تحكم أقولك من السودان.
إنها هاربة من وحل الرذيلة، وهو هارب من رذيلة العشق، إنهما بائسان قد يجمعهما الهرب في طريق اللاعودة..

الله يسامحك يا حسنولا..

[٢٢]
هات المخبي لطيف يا رب
بركاتك يا طاهرة

البنت دي مجنونة رسمي قرأت الفصل السابق وفاجأتنا بحضورها إلى الحُسين، نظرت إلى الغلبان بيسو وقالت:

- مش إنت بس اللي لك معجبات، أنا كمان ليا معجبين عدد نجوم السما، لكن مع الأسف اختارتك إنت..

وأنا بقى ميرضينيش إنك تسيب المغرمات بتوعك، ولا إنك تتغير علشاني، إرجع على وضعك واتصرمح واتجنن وحب غيري.. أنا فعلًا منفعكش..

نظرت نظرة تتساقط من أطرافها صواريخ سكود وباتريوت وبعض من القنابل العنقودية حين رأت نجفة ما زالت تسير بدلال العاهرات.. سقطت من عيونها دمعة أحرقت قلب بيسو وهي تقول له:

- هي دي اللي إنت عايز تبيعني علشانها!!

طول عمري شايفاك خاين وبقول لنفسي يا بت مسيرة يعقل، بقى زوقك إنحط للدرجة دي، هي دي نجفة ولا لمبة! دي بكتيرة قنديل مطفي في حارة زفرة وناسها لِمامة..

"استهدوا بالله يا جماعة" قلت لهم وأنا أطالبها بالجلوس.

وبيسو يقول:

يعني إنت يرضيك اللي بتقوله ده!! لمبة جاز مين اللي ابصلها وأنا معايا الشمس والقمر، دا انتي حتة صعب تتكرر، أنا بس كنت بفضفض لعوبد الورد صاحبي..

"ملكش دعوة بيا نهائي" قالت له وعيونها مليئة بالدموع.. حاولت التدخل لتهدئة الأمور مرةً أخرى:

بالله عليكم تستهدوا شوية، بيسو ملوش غيرك، وإنتي ملكيش غيره، وهو بيحبك وإنتي بتحبيه، فبلاش لعب العيال ده الله يهديكم..

ممكن تبطلوا كلام شوية؟ خلونا كده ساكتين شويتين، ابلعوا ريقكم وغضبكم..

جاء النادل ومعه ابتسامة كالذي حل من رقبته حبل المشنقة لما رأى نور وجه القمر الذي جلس معنا على المقهى، تيبس من جمال وجهها ذلك الذي بيض وجهه العابس لما أضاءت له أسنانها المتبسمة وقالت: فيه إيه يتشرب عندكوا؟!

رد النادل:

- اللي تؤمري بيه يا ست الهوانم، وصوت قلم يسقط على قفا الرجل، وكرسي مرفوع في الهواء يكاد يسقط على رأسه لولا أن أمسكت به، إنه بيسو المجنون.. لم يتحمل نظرة النادل لها

ومشاجرة انتهت بقميصه ممزقًا، وفانلته الداخلية وشعر صدره الناطق بالعشق، تجمع الناس وفضوا الخناقة وانتقلنا إلى مقهى آخر..

جلست تلك المعتوهة بجواره تلملم قميصه الممزق وتمسح خده المتورم من وكزة حرب النجوم العابرة، وسألته بدلع:

- إنت صحيح لسه بتحبني وبتغير عليا!!

ليرد هو بهدوء "هو أنا ليا غيرك"!

كانت فَرِحه إنه أكل علقة علشانها، كان ناقص تقوم ترقص في الشارع وتقول بسابيسوا انضرب علشاني..

وفجأة تحولت حرب داحس والغبراء إلى حب على ورقة التوت، كنت أشعر بغربة ساعتها وودت لو مكنني الحال من الانصراف، لكن بيسوا مصاب وقد نذهب الليلة للمستشفى..

جلسا يتبادلان نظرات العشاق في لقاء بعد ألف عام من الانتظار لكن القدر كان له قرار آخر، عادت نجفة ربيبة الليالي السود لترى المجنون والمجنونة ولتقول بصوت فاحش:

- مين المُزة اللي قاعدة دي؟! هو أنا أغيب دقيقة، أرجع ألاقيك شائط؟!!

وضحكة رقيعة تهز أرجاء المكان، لتقف حسناء وكأنها أمسكت به متلبسًا في غرفة نومها مع تلك الساقطة وهو ينظر إليّ وإليها قائلًا:

يعني.. وأنا مالي!!!

أنا قايم أطلب شرطة الآداب وشرطة المرافق وبالمرة أطلب المطافي..
هات المخبي سليم يا رب..
بركاتك يا طاهرة..

[٢٣]
سلامتك يا بيسو!

بعض النساء مجانين إلى حد السراية الصفرا.. يعني تصحى من النوم بتقول يا شر إشتر، وغالبًا بيكون مودها سخيف، وإنت ورزقك ونصيبك ..

وكمان بتقول صباح الخير!!

في الحالات دي بتبقى بتدور على حد تفش غلها فيه اللي هي نفسها مش عارفه غلها ده سببه إيه! وإنت زي أي راجل عاقل وغلبان لازم توافق وتقول لها عندك حق فعلًا.. مش مهم حق في إيه.

الخلاصة لو عندك النوع ده من حوريات البحر تبقى عاقل ورزين، ومتاخدش كل الكلام على محمل الجد وحكاية طلقني أنا شاكة فيك دي زي الملح في الأكل.

ومين اللي عملت لايك على بوستاتك دي وقصدها ايه! دي حاجات عادية، دا يا معلم تسخين ما قبل المباراة، اطلب الصيدلية وهات لوازم إسعافات خفيفة قبل ما تروح المستشفى..

حسنولا ضربت بيسوا بالإزازة على دماغه.. والله يستاهل ياما نصحته، لكنه لا يستمع لنصحي، المجنون قال لها سيبي العيال عند باباكي و قابليني

في سيلانترو علشان يصالحها بعد ما حدث في الحُسين بالأمس القريب،

سبقها وجاب لها ورد لكن نصيبه الغامق إنها دخلت والبنت بتاعة الديليفري بتسلمه الورد..

وأنا في المستشفى دلوقت بأخيط دماغه الصعيدي التي هاتها ما تجرأت حسناءه على فعله بها..

[٢٤]
إنتي طالق

يبدو أن كثرة النواح تعلم البكاء، والبعد يعلم القسوة، والثُقل الزايد يهد كفة الميزان، والثقة الظالمة تقرب الطلاق..
"أنا لازم أرجع لنفسي اللي قربت أنساها"
قالها بيسو وهو يتحرق إليها شوقًا، كانت كلماته أقرب إلى الانتحار، كان يردد:
- أنا عارف إني بنتحر لكن الاستمرار انتحار أصعب وأقرب..

وكعادتنا ذهبنا إلى بيت مولانا الحسين صلينا الفجر، وجلسنا نتكلم ليس هذا صديقي بيسو كلب السكك ذو الضحكة العالية والعين المبتسمة والبساطة التي تهزم كل شيء، كنت حزينًا على ما آل إليه حاله، قلت له في هدوء وككل مرة:
- استهدى بالله واخزي الشيطان.. حسنولا بتحبك.
رد بوجع:
أعلم.. لكن الحب وحده لا يكفي، ثم انطلق يتكلم بلكنته الجنوبية التي أعشقها..

إسمع يا صاحبي يا عشرة عمرى وأخويا اللي طلعت بيه من الدنيا، بنت الناس زي ما بتقول بتحبني، لكن دا مش الحب اللي أعرفه، أنا عايزها تحبني بعبلي وعبطي وجنوني، عايزها تقدرني وأحس ده من لسانها ونظرة عنيها.

بنت الأصول عايزة تحب مني المجنون وبس، مش عايزة الباقي مني، وأنا كمان بقى اللي بيحبها عندي المجنون اللي جوايا وبس أني معدتش عاجبها كليتي.. أنا قربت أكره المجنون اللي جوايا اللي لسه بيحبها ويعشقها ويعشق التراب اللي بتمشي عليه..

- أنا خلاص قربت من الجنون يا واد عمي.. أنا عايز ألملم نفسي تاني واخد خلجاتي وارحل مع ذاتي.

أنا مش الشخص ده.. أنا واحد تاني، أنا حاولت كتير لكن التفاهم بقي بيناتنا مستحيل.. هي فاكرة إن الغيرة والزعيق وكسر الخاطر وقلة القيمة قدام نفسي حاجة بسيطة..

لا.. وألف لا..

دي حاجة عم تكسر الصنم إللى ليها جوايا والمجنون عم يعبده..

لا وألف لا..

أنا لازم أرجع لحالي علشان أنا خسرت كتير لما غليتها عن حالي، ويا ريتها فاهمانه ولا مقدرة حالي..

لا وألف لا..

دي شايفة إن دا حاجة عادية وبتقول ما إنت خابر إني مجنونة وطول عمرك تقول إن اللي عجبك فيا جنوني يبقى لازم تتحملني،

أنا عارفة إني شخصية صعبة قوي.. لكن أنا بقول ميصحش، ولا أنا بقيت قادر اتحمل اللي عم تعمله ع الفاضي وع المليان..
وعلى رأى المثل عندينا اللي ما يبكي عليا وأنا في الحي سامعه وقت الممات يوفر مدامعه.. وشيل ده من ده يرتاح ده عن ده..
بلاها يا واد عمي حب وجعه أكتر من راحته، خليها هي في عماها الله يسامحها وأنا أرجع تاني للبلد.. ولأهلي وناسي وأرجع لنفسي قبل الناس كلها.. أنا مش هعيش مرتين يا واد خالي .. الطلاق علينا حق.. هتوحشيني يا غالية..

[٢٥]
حلقة خارج السياق

بيسو كلب السكك لم تغيره كل الأحداث والأوجاع والأوقات التي مرت عليه في دروب الحائرين، مجرد إتصال منها قلب كيان هذا المجنون، أيقظني على حالة جديدة من نوبات جنونه ذات صباح وقال لي:

- قوم إصحى عايزك ضروري..

فتحت عيني بصعوبة، فإذا به واقف يحلق ذقنه على طرف السرير وهو في حالة من السرور:

بركات يناير حلت "وحلو يا حلو.. والحلو غضبه حلو".

إنه بيسو كلب السكك صاحب العمر.. منذ ما يقرب من العام، وحسناءه مجنونته وزوجته ونصف طليقته عند أهلها غضبانة..

فى ليلة الأمس أرسلت له رسالتها الشهيرة ذات الكود السحري على عقل عديم العقل بيسو قالت له فيها:

"واحشنى يا بيبي"

وهذه وحدها كانت كفيلة أن تمحو من عقله عام كامل من الشقاء..

إنه بسطا ذلك الطفل النقي ..الذي لم تمر عليه الأيام..

جلست على حافة السرير وأنا أرى الفرحة في عينيه طفل في صبيحة يوم العيد، عايز قميص أبيض كده يكون جديد وكرافتة حمرا شيك، قال هذا وهو يقلب في دولاب الملابس، ثم نظر إليّ وقال:
فيه قميص وكرافتة لسه جوه الكيس.. إيه رأيك دول أحسن طبعًا!! ومعاهم طقم زراير فضي..

ونادى على أماني:
-اعملي فطار بسرعة يا "منا ميزو" وحبة شاي من إيديك الحلوة.
طلع طقمين داخليين فى أكياسهم وقال:
دول عاجبيني.. أنا رايح آخد شاور، أرجع ألاقيك لابس وجاهز، إنزل خد شاور في الحمام اللي تحت..
أماني حضرت الفطار، وهو عمل ميكس عطور من كل الأنواع الموجودة، اختار إزازة قال دي تمشي حريمي وأنا بحب ريحتها.. هعطيها لحسنولا..
نزلنا إلى السيارة وقف للحارس وسأله:
-الطقم ده حلو يا أبو محمود؟
أمسكت بيده للسيطرة عليه وهو متجه يوزع بوس على كل من يقابلنا..
السيارة حمراء ومناسبة للمناسبة، وطلب أغاني من نوع غريب بدأت باللي باعنا خسر دلعنا..

ثم طلب مني أن أقف عند بائع ورد في الزمالك بجوار الماريوت..
وأخيرًا اللقاء سيكون في سيلانترو للمرة التانية..

على باب سيلانترو قال بيسوا:
-هات الفيزا بتاعتك وقوللي الرقم السري، واستناني هنا دا لقاء صلح، وإنت ممكن يبان على وشك إنك زعلان منها وهي حساسة قوي..
أنظر لهذا المعتوه وأبتسم إبتسامة الأب لابنه يوم دخوله المدرسة.. روح يا بيسو يا ابن قلبي ربنا يوفقك.

أنا الآن أنتظر في سيارتي أمام سيلانترو حتى يعود صاحبي المجنون..
وآه لو لعبت يا زهر...

[٢٦]
في قهوة الحناكيش

على مقهى الحناكيش حيث عبق الماضي وانحلال الحاضر وانحطاط المستقبل، طالت أيام الفراق..

حسنولا غضبانة عند أهلها وبيسوا كلب السكك غضبان عندي ومتسألنيش ليه غضبان عندي؛ لأن دا الطبيعي أنا خلفته ونسيته.. وطبعًا اللي مصبرني عليه حمزاوي حبيب قلبي..

بدأ الشهر الكريم وكلب السكك كل يوم يفتح السيرة ويجيب ورا خطوتين، واضح إن عشقه لها من النوع العتيق، ذلك العشق الذي لا ينتهي ولا حتى بموت صاحبه..

إنها متوغلة في ذاته وأحشائه، بل لكأنني أشعر أنه يحيا على نبضات قلبها، وأغلب الظن أنها هي أيضًا كذلك..

تناولنا افطارنا أنا وهو وكان كالمعتاد طوال النهار بالمطبخ يعطي الأوامر للطباخ بأنه بيحب الشوربة ويفضل يكون فيها شعرية مش لسان عصفور وبيحب الفته على طريقتي أنا..

إذ أنه يراني أفضل صانع فته في التاريخ، صوته وهو ينادي على الشغالة ويسألها فين القطايف والكنافة يا أمااااني!!

بحب أحلي أول ما الأذان يأذن.. يذكرني بفؤاد المهندس في فيديوهاته الرائعة مع شويكاره.

البيت عندي ساحة للقتال حيث بيسو كلب السكك وطلباته من العصر للمغرب، وحيث حمزاوي حبيبي الذي لا طاقة لبيسو بحمله -ولن أتركه له في كل الأحوال.

المهم فطرنا وأنهيت فطوري بسرعة بينما بيسو كان ممدًا على زجاج السفرة ما بين الحلو والمِزز والمالح، ومن بعدهم أدوية الهضم، وبعض من الزبادو علشان يلطف على فُم المعدة..

كنت قد اتصلت بالمجنونة زوجته نهارًا وطلبت منها أن نحل الأمر وتيجي تفطر معانا ويا دار ما دخلك شر..

لكن رأسها وألف جزمة لا يمكن ولازم بيسو يعتذر واندمجت في الحوار وأخدتها الجلالة وقالت:

يعني يرضيك يا أوستاذ عوبد الورد اللي بيعمله صاحبك "كلب السكك" وهنا قلت لها حازمًا..

اللي أقوله لصاحبي غير اللي أي حد تاني يقدر يقوله، بيسو أحسن إنسان في الدنيا، والأهم إنه جوزك وعيب تقولي عليه كلب السكك -إحنا هنا في الحقيقة مش في الرواية- وبدا على صوتي الغضب ولمحت أنهم أحرار يعملوا اللي هما عاوزينه، فلانت خوفًا أن تضيع فرصة الصلح وقالت:

يعني رأيك إيه؟!

أجبتها بمنتهى الهدوء:

نحل الموضوع وبلاش لعب عيال، فردت وقالت بهبل مخلط على جنون بس أنا مستحيل أجيله هو اللي لازم يجيلي ويصالحني كمان..
أخذت علاج الضغط وقلت لها خلاص نتقابل كلنا الليلة عند سيدنا الحُسين في قهوة الحناكيش..

بعد تناول المرطبات وصلاة التراويح من على كرسي لأن بيسو قد ملأ معدته حتى نخاع عظمه رغم نحافته التي لا تتناسب وجرائمه الغذائية..

ذهبنا إلى الحُسين أنا وهو وعلى كتفي حمزاوي الجرو الجميل في سلالة كلب السكك الأصلي، المقهى في شارع جانبي تطل منه رائحة التاريخ وعبق الماضي وانحلال الحاضر وانحطاط المستقبل.

على باب المقهى رجل قواد بالسليقة ومنذ بدء الخليقة، على جدران المقهى صور قديمة لغوازي يرقصن ويخدمن الرجال وصورة لباش أغا مملوكي شركسي أرميني تتري هكسوسي من منطقة درب شكمبة، وعازف عود يُخرج في الألحان آلام الزمن الذي رمى به في سكة الغوازي -بعد أن كان مدرسًا للتربية الفنية في كباريهات شارع كلوت بيك، وطبال وعازف رق توأمان من عهد أميتاب باتشان لا ينقصهم إلا ظهور العجوز الخرساء العمياء والرجل المقطوع اليدين ليثبت للجمهور أن الحرام ملوش حل..

ومطرب من النوع المصاب بمرض الثقة بالنفس في حارات المغول والتتر وأمنا الغولة يشعر بقوة أنه جنكيز خان الغناء، ودخان لا مصدر له إلا صدور المرضى من مرتادي تلك الحانة المسماه قهوة الحناكيش.

والحناكيش جمع حنكوش وهو الرجل الصايع عديم الرباية اللي أهله فشلوا في تعليمه وتربيته وفي الآخر صاع وبقى حنكوش صغير وتدرج في سلم الحنكشة حتى صار ليدر عظيم لمجموعة من الحناكيش..

الجالسين في هذه البؤرة كلهم رواد المكان الأصليين، كنا ضيوفًا على قوم آثمين، اخترت مكانًا بجوار الباب حتى أستطيع تنفس جزء من الهواء الخالي من أمراض الصدر والربو والسعال الديكي، وحتى يتسنى خلطه بالدخان المعبق بأطعمة الحشيش والأفيون وأبو صليبة ونجفة تلك التي تستنسخ فى كل زاوية من زوايا المكان الملطخ بالإثم.

جلسنا وحضرت الحسناء..

وتحول نظر كل الحاضرين إلينا وهي كأي جميلة معتوهة اندمجت في غرابة المكان، كان تركيز المطرب عليها مخيفًا وبدأ يُغني:

اللي تعبنا سنين في هواه

عامل نفسه ميعرفناش

بعد العمر دا كله معاه

فاتنا وقال رايح ولا جاش

وطبعا قام بيسو معتوه الكَفر ليرقص ويتمايل، سرعان ما ألقى أحدهم إليه "مطواة" ليرقص بها رقصة المعتوة، وليدرك أن المطرب رجل الحداية يُغازل حسناءه فيهوى عليه بقلم شغل مخبرين ويضع المطواه على رقبته، وصرخات تملأ المكان..

تقف الحسناء تنظر بطلها، يشع من عينيها سعادة تفلق هام وقلب بيسو المجنون، وتتحول الخروجة إلى عاركة كارثية وسترك يا سابل الستر..

ليكون مصيرنا إما في قسم الشرطة.. أو في مستشفى الحُسين الجامعي..

بركاتك يا طاهرة..

[٢٧]
حلقة في صحراء الوجع

أنهيت حوارى مع الدرويش ليلًا بسبب مكالمة طارئة من بيسو صديق العمر آلمتني جدًا، مررت عليه لأطمئن ما به، كان مزاجه متألمًا فقد مر ما يقرب من ثلاثة أشهر ولم ير أولاده عمر وحمزة..

ليلة العيد هذه كانت منذ عام مضى عيدًا بحق..

اتصلت من رقم غير مألوف بقاسية القلب وعديمة الرحمة تلك الحسناء التي لم تتعلم من الدنيا شيء، ردت وهي لا تتوقع أن أكون أنا المتصل، طلب مني هذا المعتوه أن أفتح الصوت حتى يسمع صوتها وصوت الأولاد..

ألقيت عليها تحية لا سلام فيها ولم أُمهلها وقتًا للتفكير، أخبرتها بكلمات مقتضبة آمرة:

- بعد ساعة هنكون تحت بيت والدك علشان بيسو عايز يشوف أولاده.. حاولت الاعتراض قائلةً :

بس الولاد مش هيخرجوا من باب العمارة.

امرأة جاهلة قاسية فاسدة -وهذا أقل ما يمكن أن أصفها به، لعن الله المرأة التي لا تملك غير جمالها..

أغلقت الهاتف في وجهها فقد أصبحت أراها جاهلة، لكن صاحبي يمنعني أن أتصرف بما تستحق من وجهة نظري، ومع الأسف بيسو ممسوك من إيده اللي بتوجعه.. أولاده، وقلبه.

تناولنا إفطارًا سريعًا فأنا لا أريد لهذه المعتوهة أن تفكر بتغير ما اتفقنا أو تتحرك بالأولاد لمكان آخر، أحد فوائد كورونا ذلك السجن الكبير الذي حَدَّ من حركة الجميع.

طلبت من بيسو أن يحلق شعر ذقنه الذي يشبه القادمين من التخشيبة، وأن يرتدي ملابسًا زاهية ويتعطر وكأنه عريس ليلة دخلته، اعترض في أول الأمر:

علشان مين أعمل كده! تعتقد أنها لسه بتحبني زي زمان؟! تعتقد أنها ندمت بعد اللي عملته؟!

أخبرته:

- لا.. أنا عايزها تندم لما تشوفك ثم قلت له:

- يا صديقي في الخلافات الزوجية هناك شخص يبدي السعادة والأخر يأكله الشقاء، وأنا اخترت لك أن تبدو سعيدًا، أما هي فلها الألم حين تراك وتعلم أنك لم تنكسر

ولم تضعف ولم تهن..

كان بيسو يحاول أن يخدعني ويخدع نفسه حين يدعي أنه غير مهتم بها وبما تفكر وتشعر، إن تلك الشيطانة تجري في عروقه مجرى الدم..

اقتنع بكلماتي وبدأ يلبس ويتأنق، رأيته يمسك برابطة العنق الحمراء -تلك التي تملك الشيطانة نصفها الآخر، لكنه شعر بالخجل من نظراتي..

تناولت رابطة عنق حمراء عليها قلوب بيضاء صغيرة وقميص أبيض تطل منه الحياة، ملت على الأرض ومسحت له حذاءه حتى يبدو عريسًا بحق، ثم نزلنا وفي الطريق توقفت عند محل للعب الأطفال ونزلت اشتريت طائرة وسيارة لعمر وحمزه..

كانت عينا صاحبي تطير بين الورود والقلوب المعلقة، فأحضرت قلبًا صغيرًا وضعته في طرف جاكته الأبيض كنت أعلم أنه يتمنى أن يعطيها إياه.. إنه مريض بحبها

ولأنه بسيط النفس وسهل الرضا كان دائمًا ما يجد لها المبررات، لكنني لن أقبل هذه المرة.. بيسو لن ينكسر ما دمت حيًا..

وصلنا إلى بيتها ووقفنا في باحة العمارة، نزلت وحدها وهي غير قادرة على النظر إليّ، إنها تعرف جيدًا أنني عقل هذا المحب وكرامته، كان على وجهي علامات تقترب من الإزدراء لكن صاحبي بحاجة إلى أن يرى أولاده..

نزلت وحدها حتى تغلق باب العمارة أولًا بالمفتاح الذي معها بعد أن تم تغيير كالون الباب ثم نادت على فتاة تعمل لديهم أن تُحضر الأولاد..

ليصبح اللقاء أقرب ما يكون للقاء في باحة السجن..

احتضن بيسوا أولاده بكل صفحات الوجع وكانت دموعه أغزر مما كنت أتخيل، جلس على الأرض يلعب معهم بالطائرة والسيارة، يتمزق قلبي بين أضلعي على وجعه، إن هذه المرأة الضالة لم تعرف أبدًا قيمة للحياة الحقيقية، ولم تعرف أبدًا مشاعر الحب الأصيلة، إنها حقًا امرأة مزيفة..

كانت ترقب ملابس بيسو وأناقته بشيء من الغضب أو ربما بشيء من الاضطراب.. إنها غير مقتنعة أنه استخرج شهادة ميلاد جديدة، وجواز سفر يطوف به في سماء كل نساء الدنيا، وأنه الآن سيولد من جديد.. وأنها ستغلق باب السجن عليها وحدها..
إن هذا النوع من النساء مبهور بجماله لكنه غير منصور بعقله، وإن الذين يدخلون سجون هذا النوع من الفاتنات إنما يمزقون بطاقات هويتهم على أبواب السجن، ويقضون أعمارهم هاهنا، لا يعرفون الخروج لأنهم فقدوا هويتهم يوم مزقوا بطاقات تعريفهم..

فرحة صاحبي بولديه أنسته أن ينظر إليها وكان هذا سهم أصابها في مقتل لم يقصده صاحبي، لكنني سعدت وأنا أراه يندس في قلبها القاسي حتى الرمق الأخير ..
كانت على غير عادتها غير مهتمة بزينتها، إلا أنها ظلت تحسن في هيئة شعرها وإسدالها الذي لبسته على عجالة..
إن الأيام لا تترك الظلم تائها بين العباد إنما تحمله بكل قوته وترده في صدر الظالمين.. هذا قانون لا أشك أبدًا في حقيقته..

مرت ساعتان وبيسو على الأرض يلعب كالأطفال مع فلذات كبده، كنت أقرأ ما يدور فى رأسها وكأنه كتاب مفتوح، الصورة عكس ما توقعت تمامًا

بيسو لم ولن ينكسر..

أردت أن أصرخ فيها بيسو لم يأت ليراك إنما جاء من أجل أولاده..

أنا سعيد جدًا بفرحة صاحبي لكنني لن أسمح له أن ينكسر مرة أخرى، قلت له:

يلا يا حبيبي علشان نمشي دول ولادك وشايلين اسمك وبكره هيرجعولك وإنت الاسبوع الجاي هتشوفهم بعد جلسة محكمة الأسرة..

فلتسقط كل امرأة قاسية..

ولتسقط كل أم لم تحفظ لأولادها أبيهم..

وليسقط كل جمال لم يغلفه الحب والحكمة..

وليحيا صاحبي بيسو كلب السكك..

سننطلق إلى الحُسين لألقى صاحبي الدرويش

أنا وبيسو و نجفة وعبد ربه التايه..

[٢٨]
دموع بلا ندم

التقيته في صلاة الجمعة، ركبنا السيارة بعد الصلاة، لم يتكلم كثيرًا لكنه فتح المذياع على هذه الأغنية وسرح تائهًا في أيام الحب والوجع والخسارة الفادحة..

تقولين الهوى
تقولين الهوى شيء جميلٌ
ألم تقرأ قديمًا شعر قيس
أجئتِ الآن تصطنعين حبًا
ذبحتِ به الفؤاد ولم تحسي
أقاسية المشاعر غادريني
فما أنا عبد سيدة وكأسِ

لقد أخطأتِ حين ظننت أني
أبيع رجولتي وأذل نفسي
فأكبر من جمالك كبريائي

وأعنف من لظى شفتيك بأسي
فما أنا عبد سيدة وكأس

أقاسية الوصال إلي ردي
لهيب عواطفي وجحيم حسي
لقد دمرت أيامي وعمري
فجفت دمعتي وانبح همسي

أعيديني
غ إلى أصلي جميلًا
فمهما كنت أجمل منك نفسي
فما أنا عبد سيدة وكأسِ..

تقولين..
كلمات: نزار قباني
ألحان: كاظم الساهر

...

[٢٩]
إنتي طالق..
أقولها وأنا أتجرع السم

كانت ليلة بائسة بكل المقاييس أنهيت العيادة وإذا به ينتظرني في الريسبشن وقد طلب ألا يخبرني أحد بوجوده، بيسوا كلب السكك صاحب العمر..

كانت ملامحه تنطق ألمًا، وكالمعتاد ذهبنا سويًا حيث راحتنا في باحة سيدنا الحُسين وجواره، الأضواء عالية كالعادة لكن صمتًا قاتلًا كان يخيم على كل شيء.

رأيته يبكي على غير عادته، كان يحمل حمزاوي ولده، أخذته منه فأنا وحمزاوي حُب من نوع خاص، مر النادل فطلبت له حلبة حصى وطلبت لنفسي زجاجة ماء، قال بمنتهى الوجع:

أنا خلاص قررت أطلق.. هطلق رغم كل حبي لها،

الحياة مش حب بس الحياة تفاهم.. راحة بال.. ثقة.

صعب قوي تعيش مُتهم.

صعب قوي تقضي عمرك قاعد على كرسي الاعتراف.

صعب قوي تحسس على كل كلمة وكل تصرف بتعمله

الحياة أبسط من كده..
الشك المبالغ فيه بيقتل طعم الحياة.. حلو شوية غيرة لما يكون لهم سبب لكن الغيرة زي الملح كُترها يبوظ أجمل الأكلات..
قلت له استهدى بالله.. إنت بتحبها وهي بتحبك فكان رده موغلًا في الوجع:
أيوه أنا هطلقها وأنا بحبها.. مش عايز أكرهها، مش عايز أكره نفسي إن أنا حبيتها، عايز أطلقها وأنا بحبها، عايز لما أشوفها تبقى وحشاني، عايزها لما تشوفني تشوف في عنيا حُبي اللي منتهاش، مش عايز أكرهها وأكره أيامي الحلوة معاها..
لقد أصبح الاستمرار مستحيلًا، وأصبح الفراق أخف الحلول ألمًا..
يسقط كل عشق لا تغلفة الثقة واليقين..
يسقط كل حب لا يغلبه التسامح..
يسقط كل حب مصحوب بكلمات لا محل لها من العقل..
يسقط الحب إذا كان ألمه أعظم من حلاوته..

ثم غلب على وجهه ابتسامة لم أعرف لها تفسير وقال :
إنت تعرف إن كل قصص العشاق كانت خالية من تجربة الزواج؟!
قيس وليلى.. كثير وعزة.. كليوباترا ويوليوس قيصر
.قصص الحب دي عاشت علشان مشافوش الجانب المظلم من الأنثى..

طب عليا الطلاق لو قيس كان اتجوز ليلى لكان رمى عليها يمين الطلاق قبل الأربعين، دا يمكن كان غرز في قلبها خنجر على السبوع.
تخيل كده ليلى بتقول لقيس بعد قصة الحب دي "رايح فين يا أبو عين زايغة!!"
ولا أنا كنت ملاحظة إنك مركز على شحبرونة بنت الحاج سلخاوي جارنا.. تخيل كان ممكن يجيله جلطة أو يتشل أو يقتلها وياخد فيها تأبيدة.. أو يرمي نفسه من فوق نخلة وينزل فطيس ويخسر دنيته وآخرته..
عليا النعمة الستات دول اتخلقوا عقاب للرجالة، حب إيه وزفت إيه!! طب دا أنا بعشقها عشق السنين والتنين.. وآخرتها ايه!!
أنا خاين وفلاتي وعيني زايغة وبتاع نسوان..

يا راجل بلاها وجع القلب، وجب عليكي الطلاق يا غالية روحي وإنتي....
وضعت يدي على فمه قبل أن ينطق بالكلمة الفصل، وقلت له استهدى بالله الأمور متتحلش كده..
قوم بينا نصلي الفجر، وبعد الفجر لينا كلام تاني..
استمرار الزواج، الطلاق او الخُلع، نهايات مفتوحة لقصص الحب، لكن الحقيقة المُطلقة أن الحب وحده ليس كافيًا لرسم النهاية الصحيحة، إنما التوافق الحقيقي فكرًا وشعورًا هو الذي يصنع المسار الصواب للحياة..

[٣٠]
إنتي طالق يا غالية

طال الحديث بيننا كثيرًا، كان يحمل قدرًا كبيرًا من الوجع، شيئًا ما تغير في بسطويسي، لم يعد بيسو كلب السكك..
يبدو أنها لم تستطيع أن تحافظ عليه كما يستحق ، إنه ومن أجلها هي وهي فقط ولد من جديد.. لكنها دفنته بشكها و ضيق حلمها.
إن الحب الذي ولد في الميدان قُدر له أن يُدفن على الطرقات..
إن الحب الزائد عن الحد مثل السكر الذي يُفسد طعم الأشياء إن زاد عن الطلب.
صديقي بيسو يملؤه الوجع، لم يعد قادرًا على تفسير الوضع، إن الخلاف بينهما صار أبقى من الود، هو يتكلم بلسان الرجال وهي تتحدث مثل كل النساء، هي دائمًا تتهمه بما كانت تعشقه فيه، إن كرمه أصبح الآن تبذيرًا،
وحنانه أصبح ضعفًا، وبساطته أصبحت سوقية،
وجنونه بها أمسى هبلًا.
هكذا بدلت الأيام والليالي قصة العشق تلك إلى ملحمة من وجع، أظننا لم ننم الليل كله، كان يحكي حجم الهزيمة التي منحته إياها الأيام، يحكي بوجع كيف للأشياء أن تتبدل، كيف يصبح الشيئ

الواحد ذو تفسيرين متناقضين؟ كيف أمسى في عينيها سفيهًا بعد أن كان مجنونها؟ إنها الأيام والآلام والمحن..
هي كانت غير مرتاحة، شيء ما يؤرقها مثل كل بنات حواء، صدقه كان مصدر بؤسه، إنه يحكي كل شيء لها
وهي تربط الأحداث والكلمات وتضربهم في خلاط خيالها الأنثوي المريض، وتكون دائمًا النتيجة قطعة كيك مخلوطة بالرمل المالح..

كان يسألني دائمًا هو الغلط فيا ولا فيها ولا فينا ولا في الظروف؟ هو أنا كده فعلًا مجنون ومطلوب أبقى راجل نكدي ودمي تقيل؟ هو أنا لازم أكهرب حياتنا علشان تبقى ملبوخة في حاجة غيري؟
كانت كل كلماته موجعة ولم يكن عندي إجابات شافية لكل أسئلته، كان يشغلني أن أطمئنه أنني صديقه الذي لن يتغير عليه أبدًا.
أخذته إلى مقرنا الدائم في الحُسين نشرب بعض الساخن جلسنا في الهواء، وبدأ يجتر ذكرياته المؤلمة،
فاكر لما كنت هنا من سنين بأبوس اللي رايح واللي جاي من الفرحة؟
فاكر الخناقة اللي عملتها لما صبي القهوة بص لها؟
فاكر لما وقفت تحت المطر زي المجنون؟
فاكر لما جت وأنا كنت هتشل من الفرح؟
فاكر لما قالت لي بحبك يا مجنون؟
فاكر لما سمتني بيسو؟

ثم شلال من الدموع وصوت نحيب دفع كل المحيطين للنظر إلينا، ثم وجع يتساقط ليملأ الأرض بذورًا ستثمر ذات يوم حبات عشق ملؤها الخوف، ثم صمت لم يكسره إلا حضورها وبيدها طفليها وقد لبست ثياب الجهل والوهم والغطرسة، إنها مكسورة بجهلها، حبلى بكل أوهامها، منزوعة العقل والحكمة.

ومن ورائها يأتينا مأذون عمولة يحمل دفتر إقرار الموت تحت إبطه، لم يتحمل صاحبي لوعة الفراق، ولا بساطة مجيء مشيع الحب والعشاق، استجمع بيسو ما بقى فيه من قوة وجمع بقايا كرامته التي رآها تتناثر

تحت أرجل المارة والعابرين ثم صرخ في وجهها

وقد أغمض عينيه حتى لا يراها ودموع ألم ووجع وفراق لروحه، بنحيب وصوت متهدل من الوجع

صرخ فيها:

إنتي طالق يا غالية..

ثم خر على الأرض مغشيًا عليه..

[٣١]
لحظة كارثية

لقد تفننت هذه المجنونة في الانتقام منه لما نطق بالطلاق، لم تشعر بما حل به بعدها، فقد انتصر كبرها على كل جميل كان يومًا، تركته ورحلت لنعلم بأن حسناء أخدت الولاد واختفت، وعملت بلوك على كل برامج التواصل.. دي خيانة حقيقية..

أرى صديقي في صدمة أكبر من صدمة الطلاق، هي تعلم كم هو عاشق لأبنائه لكنها لم تكن على قدرٍ كافٍ من الحكمة، أشعر به يتحرق ألمًا، ورغم ما يعانيه يجلس في صمت وذهول.

كان لابد أن يساورني الشك فيها، فأنا أعلم أنها معدومة الإحساس، لقد كان يحلم أن بعدما حدث ستتعلم الدرس وتعود الحياة إلى سابق عهدها.

نفسي أفضفض وأقول له:

دا كان اختيار خاطيء من البداية، دي مش اللي تقدر تكمل الطريق، دي دلوعة أزيد من اللازم، فوق لنفسك يا صاحبي فأنا أيضًا أحتاجك.

أراه مهزومًا على غير عادته لقد عرفَت تلك الشيطانة من أين تؤلمه، تبًا لها من امرأة قاسية، إنها حتمًا تنتمي لصِنف نسوة يوسف.

لا أدرى ما يمكنني فعله من أجله الآن، ولا أي الكلمات يمكن أن تجفف دموعه، ولا أي المفردات يمكن أن تهديء من فزع قلبه على أولاده.

جلست أكتب بعض ما يجول بخاطري عل غضبي يهدأ قليلًا، فوصلتني منها رسالة -ويا ليتها ما أرسلتها،

كتبت فيها "إبقى خلي الحلوة اللي كانت مهتمة بيه تنفعه"

أرسلت إليها ردًا أطلب منها لقاءً في مقهي الحُسين – رغم اقتناعي بأن كل ما سأفعل من محاولات بلا جدوى، فالطباع لا تتبدل، واختيار الطرق الخاطئة لابد ستصل بصاحب القرار نحو نهاية صادمة، لكنه حق صاحبي علىّ أن أحاول حتى أتيقن أنها النهاية.

ردت برسالة أخرى توافق فيها على اللقاء، لألتفت نحو بيسو صديقي الحبيب وأخبره بأمر اللقاء، وأنها آخر محاولة لإصلاح ما حدث، وطلبت منه أن يعطيها ويعط نفسه فرصة واحدة، لربما يكون الخير..

طلبت منه أن يكون اللقاء بيني وبينها في البداية حتى أرى ما يجول بفكرها، وإن رأيت خيرًا طلبت منه الحضور، وكان جوابه القبول.

نظرت إليه وكلي ينطق بالحزن على حالة، وكل ما يدور بعقلي "إن للعقل دورًا أعظم ألف مرة من كل أحاسيس القلوب وقديمًا قالوا - عدو عاقل ولا حبيب مجنون"..

[٣٢]
غروب عند مطلع الشمس

جاءت المجنونة وكل ما اهتمت به أن تبرأ نفسها وتتصيد الأخطاء لبسطويسي، انقلب الحال وصارت كل مزاياه عيوبًا في عيون من أطلق عليها يومًا كل الحياة.
نويت ألا أتصل بصاحبي -فكما عرفت دومًا- لم أر أي جدوى من الحديث، لم انته من أفكاري حتي وجدت صاحبي فوق رأسي في مقهى نجيب محفوظ، وقف ينظر إليها وهي تنظر إليه، وأنا أنظرهما متألمًا لضياع ما رأيته يومًا على النقيض من هذه النظرات.

صديقي كان يسيل حبًا وغضبًا وغيرة وأحاسيس أخرى لم تعرفها موسوعات الحب، وقف أمامها وهي في كامل زينتها التي يرفضها ويعشقها ويذوب حنينًا إليها، كانت ترسم على شفتيها علامة النصر، فهي توقن جيدًا أنه يعشقها وإن اختلفت الكيمياء -كما يقول.

ظل صامتًا متألمًا لا يجد مبررًا للحضور، ولا مبررًا للغيرة والغضب والحنق، نظر إليّ ليسألني عما يفعل؟

أشرت له بخائنة عيني أن يحتضنها، اقترب منها وهو يفقد هويته ورؤيته وغضبه وحنقه، وهالات الحب القديم تتراقص في سماء المقهى مع سحب الدخان الملوث بتاريخ الزمن المنفي في صدور التائهين والحيارى.
هي لم تبتعد، وكأنها كانت تنتظر ذلك الحضن بفارغ الصبر، كأنه حصن أمانها ودرع رونقها، مالت على صدره وهي تغيب عن الوعي بكامل إرادتها وحريتها وسعادتها، استنشقت رائحة صدره المليء بالأمان، وضع يده على شعرها المنساب على طريقة عشق الرعاة.

لم يكن للكلمات أي دور فالموقف عصارة سنوات حب على مقصلة الوجع، آهات حلم كان الواقع أكثر بعدًا عنه، شهادة موت جنين في شهره الأخير بعد أيام من السهر والأرق والحلم، خاتمة قصة حب فاشلة لم يكتب أصحابها لها النجاح، شخصان جمعهما حب لم يدخل مدرسة الدنيا يومًا واحدًا فرسب في كل اختباراته، وفشل في كل اختياراته.

كان الصمت أكثر بهاءًا، والدخان المتصاعد من أراجيل السكارى يكتب في اللاشيء كل شيء، إن كلمات عتاب، ونظرات استعطاف، بل وحوار مصالحة لم يعد له مكان الآن.

إنه مازال يعشقها من نخاع قلبه، وما زالت تعشقه في هواء أنفاسها لكنهما يعلمون جيدًا أن التجربة أثبتت الفشل..

كان يريد أن يقول لها "إنتي أول وآخر عشق في الدنيا"،
وكانت تريد أن تلومه لأسباب لا تعرفها.. إن حبًا عظيمًا
لم يكتب له النجاح لأسباب لا يعرفانها..
مسحت دمعة من طرف عينيها في محاولة لحفظ كبريائها،
استدارت لتغادر المكان وهو متيبس في مكانه،
نظرت إليه ألا يتركها، خرج وخرجت معهما.. لم تتكلم،
ولم ينطق، قالت بعينها كل ما يمكن أن يقال، وقال بوجعه ما لا يستطيع لسانه ذكره.

إن الأيام تعطينا من الفرص ما لو عاد بنا الزمن لفعلنا غير الذي فعلنا، ولفهمنا غير كل الذي فهمنا..

وصلنا إلى سيارتها خلعت شالًا أحمر اللون كان من -ممتلكاتي فيما مضى- لفت به رقبة صاحبي
وقالت:
الدنيا برد خليه عليك علشان يدفيك..
ركبتْ السيارة وغادرت مثل كل شيء جميل، ثم انفجر صاحبي في البكاء..

يا لقسوة الأيام!!

[٣٣]

ممكن نتعرف؟!

كان من المفترض أن أمر على صديقي الدرويش الذي اشتقت كلماته، لكن أمرًا غريبًا قد حدث، فقد هاتفني صديق عمري بيسو كلب السكك، وأخبرني أنه قادم إليّ، وبالتأكيد سيبيت عندي لأن هناك حظر تجوال سيبدأ بعد ساعات قليلة.

وصل إلى منزلي عند مغيب الشمس وقرب اندثار الحرية تحت عجلات الحظر، دخل على صورته القديمة تلك التي لم أرها منذ فترة طويلة، باسمًا ضحوكًا متهلل الوجة، كنت سعيد أن رأيته على هذه الحال مرة أخرى، لكن المفاجآت كانت أكبر من تحملي..

دخل من الباب وبعد حفلة من الأحضان ذهب إلى الحمام ليغسل يديه اللتين مسح بهما وجهي على الباب بالماء والصابون؛ معللًا أن الاحتياط واجب علشان الفيروس..

ثم دخل إلى المطبخ وأنا أسير من خلفه أُلملم ما يسقط منه كما الأم خلف وليدها، ليلتفت نحوي ويقول:

- شغل البوتاجاز وحط شوية زيت في طاسة.

وبينما كان مشغولًا بالبحث في التلاجة عن شرائح الفراخ المتبلة، أخرج معها قطعًا من جبن الفلامنك، وبعض الخضروات وأرغفة من خبز فرنسي وزجاج بيبسي حجم صغير..

جلس يتناول الطعام على السفرة وأنا أنظر إليه في سعادة كأنه ولدي، أسند ظهره للخلف وقال:

- خلاص أنا وحسنولا هنتصالح..

كنت فرحًا بالخبر.. وأكثر فرحًا بفرحه.. قلت له مبتسمًا:

- خير بإذن الله.. ربنا يبعد عنكم الشر ويصلح حالكم.

ليرد مؤمنًا على كلماتي ثم يقول:

- إنت بركة يا عم عُوبد الورد، احنا الإثنين أخدنا بكلامك.

جلست على الأريكة وحاجبي الأيسر قد ارتفع فوق العادة ثم سألته:

أي كلام تقصد؟

قال في هدوء:

هنتعرف على بعض من جديد ونشوف عيوبنا إيه ونحاول نصلحها، قلت له:

- فكرة عظيمة أن نراجع أنفسنا ونعترف بأخطائنا ونحافظ على بيوتنا وأولادنا.. قال لي:

- هو كده بالظبط..

تقريبًا بيسو بقى عاقل ودي حاجة في حد ذاتها جنون..

رن هاتفه المحمول بنغمة أغنية شعبية تقول:

سكر محلي مخلوط على كريمة

كعبك محني والعود عليه القيمة
وتجيني..
تلاقيني لسه بخيري
مش هتبقي لغيري..
لم يمهل الأغنية لتكتمل، ليرد على الاتصال، فإذا به يقول:
صباح الخير يا أستاذة حسناء..
أنا من ساعة ما شوفتك في المظاهرات وأنا نفسي أكلمك ومش مصدق إن أنا وإنتي بنتكلم أخيرًا.. حكى لها عن قصة زواجه الفاشل، وهي حكت له عن زيجتها التي انتهت بالطلاق..

أبدى لها إعجابه بها وأنه مستعد يتجوزها حتى لو عندها عشر ولاد، لترد عليه:
- إنت فاجأتني.. أصل حمزة وعمر بيغيروا عليا قوي، إزاي هتقدر تحل محل أبوهم، قال لها:
- هحاول وأعمل كل اللي في وسعي.. قالت له سيبني أفكر شوية، أنا لسه مخلصتش شهور العدة..

إنه المجنون ربيب مستشفيات الهبل العالمي المُخلط بفيروس كورونا داخل لحظات الحظر الصحي والعقلي، ذلك المعتوه وتلك الهبلة قررا ان يبدأا الحياة من جديد، يعني بنرجع من اللحظة زيرو.. ونعيش الأيام السودة تاني، ونجيب ورد وشبكة، ومشاكل الخطوبة،

خاصة أنها عندها طفلين عمر وحمزة، وهو عنده برضه نفس الطفلين عمر وحمزة..

إن الهبل يحدث مرة واحدة في العمر.. لكنه عندما يتكرر.. يصبح مهزلة التاريخ.

لأردد في نفسي:

-إللي معاه رقم السرايا الصفراء يبعت لنا إسعاف وفيه اتنين ممرضين وقميص من السرايا..

لقد أوشك عقلي على الجنون..

[٣٤]
خسرتني امرأة

جلس بسطا يتحدث عن حبيبته وكيف أنها خنقت كل حلم جميل بداخله، وكيف تتفنن في اغتيال كل أمل يحاول خلقه ليعود بالزمان إلى حيث كانت البداية والشغف، كيف وصلت به إلى الجنون المُطلق ليعود بخفي حنين، لا جدوى، فلا مخلوق يستطيع أن يعيد الحياة لما فارقها، ولو كان إحساسًا بكل الحياة..

استنشق نفسًا من سيجار كولومبي – بدأ في تعاطيه في الآونة الأخيرة- ومال في جلسته، وغابت عيناه في سقف الغرفة محلقًا في اللاشيء، علامات وجهه خليط من الندم والألم لكن بين هذا الوجع يخرج ضحكة مخلوطة بالحلم والرهبة والتردد، كيف لهذا الحب أن يموت قلت ربما الظروف المادية هي التي قتلته قال الرجل احنا ميسورين بزيادة، قلت لعلك أهملتها أو أحببت غيرها قال في هدوء صادق:

أنا كنت قطة مغمضة وكنت بحبها جدًا، لكن خنقتني..

قلت له: بحبها؟ فقال بيقين لا.. بجهلها!

قال متألمًا:

أنا يا صديقي لا أقبل أن أكون المتهم، كرسي الاعتراف لا يناسب أمثالي، مقعد المتهم لا يليق بمثلي، لقد عاشت دور المحقق ذلك الذى يسلبك حق التفكير الحر، كانت عودتي إلى المنزل هي بداية العكننة، صنبور الشك الذي لا ينضب في البيت، حولت الحياة إلى كابوس حقيقي.

من أين لها بكل هذه القدرة على اللجج والخصومة، إن البيت تحول إلى كابوس حقيقي، لقد صرت أكره العودة إلى البيت، أتأخر في عملي دون بسبب أو دون سبب..

أحلى أيام عمري تلك التي كانت تغيب فيها عن البيت حيث تذهب الى أهلها في خلاف أو بغير خلاف، إن هواء البيت بدونها هواء نقي، لأن صوت سقوط طبق لن يعقبة جلسة محاكمة، وجنوني مع أولادي لن يصاحبه نظرات الاستغراب..

إنها مصدر التعاسة للبشرية جميعًا..

إنها مركب جاهل فاسد مزعج غير مريح..

إنها سوط الجلاد وهو في طريقه إلى جسد الضحية، وصوت صرير طبلية الإعدام لحظة وضع الحبل على رقبة المشنوق.. إنها الصورة المُثلى لشياطين الإنس..

ثم أغمض عينيه وزفر زفرة التخلص من ذكرها وقال:

فيه ستات حاجة تانية.. حالة تانية.. ستات تفتح نفسك على الحياة بجد..

تخيل ست متزهقش من كلامها ولا وجودها، ولا تتعب من انتظارها، تخيل ست توحشك وإنت ماسك إيدها،
وتحبها وإنت بتحبها لأنك مش مكفيك حبك لها..
تخيل ست عاقلة وراسية ومُطيعة..
تخيل ست عارفة إمتى تسمع وتقول حاضر لحد ما طوفانك يخلص، وبعدين تعاتبك وتلومك وتحسسك إنك حبيبها..
الست رزق ويا بخته من كانت الست بتاعته رزق حسن
يا بخت اللي يلاقي اللي تحتويه وتطبطب عليه وتتوجع لوجعه..
كانت عيناه تشعان في سماء الغرفة لونًا قرمزيًا مخلوط بقطرات من ندى قلبه الذي سقط في بحر الهوى.
وقفت أنظر في عينيه وهو يتكلم وقلت له:
- إنت بتحب!! فيه حد كده ظهر في حياتك؟
وقبل أن ينطق مجيبًا دق هاتفه المحمول، وكانت نغمة خاصة لرقم أسماه حلم العمر، كانت الكلمات تقول:
اللي باعنا خسر دلعنا
راح لحاله يلا يودعنا
بالسلامة والقلب ناسيه
واللي سابنا قفلنا بابنا
يلا بينا وفرنا تعبنا
الحياة مش واقفة عليه..
صديقي المجنون سقط في بئر الحرمان..

[٣٥]
رسالة من القاضي

روى أحد القضاة عن قضية طلاق بين زوجين والزوجة هي من طلبت الطلاق.. يقول القاضي:

- الجلسة الأولى أجلت القضية لأجل بعيد كي أترك مجالًا للصلح.

فاجتمعت الخصومة في الجلسة التي تليها يقول القاضي:

- فسألتهم إذا كانا قد تراجعا عن الطلاق فأكد الطرفان بوجوب الطلاق.. قال:

- فأجلت الجلسة وهما في قمة الانزعاج يريدان إنهاء حياتهم الزوجية.

يقول القاضي برغم تذمرهم أجلت لمرات عدة، ثم عقدت جلسة وطلبت من الرجل أن يجلس على كرسي ويمسك بالقلم والورقة على الطاولة ويذكر عشر حسنات لزوجته.. فقط يكتب عشر حسنات..

قال لهما لن أقرأ ما ستكتبون.. أنتم فقط ستقرؤونه فاكتبوا دون خجل.

بعد إنتهاء الزوج من الكتابة طلبت من الزوجة أن تقرأ بسرها، بدأت الزوجة تقرأ وتنظر في وجه زوجها وبدأت الإبتسامة ترتسم على وجهها وبدأت تزداد الابتسامة،

وتشرد في عيني زوجها.

تارة تلقي نظره جريئة وتارة تنظر نظرة خجل وترمي ببصرها غضًا لقدميه.

والزوج دائم النظر والابتسامة مستدامة.

ثم جاء دور الزوجة فكتبت عشر حسنات، ولما انتهت بدأ الزوج يقرأ ويبتسم ويمعن النظر بزوجته وهي تارة تنظر في عينيه وتارات للأرض.

يقول القاضي:

- ولم يكن سواى وسواهم في القاعة، فخرجت لدقيقتين، ولما عدت سمعت همسًا وعتاب حب قد كان.

طلبت منهم عدم التحدث معي، وأن يخرجا سويًا -ويا حبذا لو دعوتها لتناول طعام الغداء في مطعم- وغدًا تعودان وأنا سأنطق بالحكم الذي تريدانه.. فوافقا.

خرجوا وعادوا في الغد يداهما متعانقتان ووجوههم مبتسمة فسألتهما:

- هل أُثبت الطلاق؟ قالا: لا.

نحن عدنا لبعضنا بالأمس وانتهت كل المشاكل بيننا بما استعدناه من الحب الذي بيننا، يقول القاضي:

- وإلى الآن لا أعلم لا أنا ولا أنتم ماذا كتبوا..

ولكنني أعلم كم نحن بحاجة لمثل هذه النظرة العميقة لما هو جميل، وإلى حسنات الأزواج والأصدقاء والإخوة وكل من حولكم لتصبح الحياة أجمل.

☆تعريف بالكاتب☆

★ الأستاذ الدكتور عبد الناصر محمد النجار.

★ مواليد قرية شرياص، محافظة دمياط، يناير ١٩٦٧.

★ حصل على بكالوريوس الطب، جامعة القاهرة، عام ١٩٩٠، بتقدير عام امتياز مع مرتبة الشرف.

★ حصل على الماجستير فِي عام ١٩٩٤.

★ حصل على الدكتوراة فِي الجراحة عام ١٩٩٨.

★ أستاذ بكلية الطب منذ عام ٢٠١١.

★ رئيس قسم جراحة التجميل، كلية الطب، جامعة بني سويف حتَّى عام ٢٠٢٣.

★ حاصل على ليسانس الحقوق عام ٢٠٢١.

★ عضو الجمعية العالمية للتجميل **ISAPS**

★ عضو الجمعية المصرية للتجميل **ESPRS**

★ الإصدارات السابقة ★

★ حكاوي المندريش.. "نثريات" عن دار إبهار للنشر والتوزيع ٢٠٢٣م.

★ يوميات طالب من الأرياف.. "سيرة ذاتية" عن دار إبهار للنشر والتوزيع ٢٠٢٣م.

★ البر التاني.. "رواية" عن دار الزيات للنشر والتوزيع ٢٠٢٣م.

★ إصدار وصول النيزك عن دار الزيات لسنة ٢٠٢٥

★ إصدار الطوفان عن دار الزيات لسنة ٢٠٢٥

المحتويات

(١) الحلو ميكملش..... ٧
(٢) المجانين في نعيم مقدرش أعيش من غيرها..... ١١
(٣) كلبشات الحرية حب في الميدان..... ١٥
(٤) صباح الخير يا بيبي..... ١٨
(٥) وجاءت الحورية..... ٢٤
(٦) ضربة معلم يا زمن وعرفت توجعني..... ٣٠
(٧) أعطني الناي وغني..... ٣٧
(٨) إوعى تغيب..... ٤٢
(٩) الحب هو الراعي الرسمي للبقاء حيًا..... ٤٦
(١٠) فتة بالموزة وحسنولا بالمكسرات..... ٥١
(١١) الفرح الموعود..... ٥٤
(١٢) أنا وعينيك والزمن..... ٥٨
(١٣) صباحية مُباركة يا عريس..... ٦٠
(١٤) وحشاني مووت..... ٦٤
(١٥) طلقني يا بيسو..... ٦٨
(١٦) زيارة إلى سيلانترو بحبك قد شكك فيا..... ٧٣
(١٧) حسنولا بتولد..... ٧٦

(١٨) نسخة الخيانة الجديدة لأقعدن على الطريق وأشتكي ٨١
(١٩) اعتراف مالوش دليل ٨٣
(٢٠) اليوم التالي..... ٨٦
(٢١) الاختيار الخطأ ٨٩
(٢٢) هات المخبي لطيف يا رب بركاتك يا طاهرة..... ٩٢
(٢٣) سلامتك يا بيسو!..... ٩٦
(٢٤) إنتي طالق..... ٩٨
(٢٥) حلقة خارج السياق ١٠١
(٢٦) في قهوة الحناكيش ١٠٤
(٢٧) حلقة في صحراء الوجع..... ١٠٩
(٢٨) دموع بلا ندم..... ١١٤
(٢٩) إنتي طالق.. أقولها وأنا أتجرع السم..... ١١٦
(٣٠) إنتي طالق يا غالية..... ١١٩
(٣١) لحظة كارثية..... ١٢٢
(٣٢) غروب عند مطلع الشمس..... ١٢٥
(٣٣) ممكن نتعرف؟! ١٢٨
(٣٤) خسرتني امرأة..... ١٣٢
(٣٥) رسالة من القاضي..... ١٣٥
☆ تعريف بالكاتب ☆ ١٣٨